فلنحافظ على العبق الإيماني للأقصى في رمضان

يقول الله ـ عز وجل ـ:﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[1].

إن المساجد هي أعظم أماكن عبادة الله ـ عز وجل ـ نسبها إلى نفسه تعظيما لها، وهي أشرف الأماكن، والبيوت للعبادة وأجلها وأحبها إلى الله، فقد أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه.

يقول ﷺ: (أحب البلاد إلى الله مساجدها)[2]. ويقول: (إنما بُنيت المساجد لذكر الله والصلاة فيها وقراءة القرآن)[3].

هي بيوت الله تلتقي فيها الملائكة ويجتمع فيها المصلون والصالحون، يعبدون الله ويُسبّحونه ويقدسونه ويتعلمون فيها أمور دينهم ودنياهم، ويعمرونها بالطاعة، ويصونونها عن كل ما لا يليق. وأن أشرف هذه المساجد ثلاثة تُشدّ إليها الرحال لمكانتها وقداستها وبركتها.

يقول ﷺ: (لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى)[4] وهي المساجد التي تتضاعف فيها الأجور والحسنات.

ونحن في بيت المقدس أكرمنا الله ـ عز وجل ـ بثاني أقدم مسجد أقيم في الأرض لعبادته، وهو ثالث أقدس مقدسات المسلمين، بارك فيه وبارك حوله، وجعله

---

1 سورة الجن، الآية 18.
2 حديث صحيح رواه مسلم رقم 671.
3 ذكره الكمال بن الهمام في شرح فتح القدير رقم 7/252.
4 حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه رقم 1189.

قبلة المسلمين الأولى، ومسرى النبي الكريم ﷺ تتعلق به قلوب المسلمين في كافة بقاع الأرض لفضل مكانته، وينشطون بشدّ الرحال إليه، وبخاصة في شهر رمضان المبارك، شهر الطاعة والعبادة والقرآن، فنرى المسلمين يجدّون في الوصول إليه سعيا للصلاة في رحابه، يأتون من كل حدب وصوب في الأرض المقدسة، ويزداد اجتهادهم في أيام الجمعة، وفي ليلة القدر، فجموعهم الغفيرة تملأ المسجد وساحاته ومرافقه، تتألق نسمات الإيمان الروحانية في نفوسهم، يشدّهم إليه ارتباط ديني عقدي، يخرّون للأذقان سُجّدا طاعة لله، وأملا في نيل مرضاته، يتجشّمون الصعاب، ويعانون الجهد والمشقّة وهم يتخطون الحواجز والعقبات للوصول إليه، تغمرهم الفرحة والشوق والرجاء أن يتقبل الله طاعتهم، فيبتهلون ويتضرعون إلى الباري ـ عز وجل ـ وهم في سعادة إيمانية فياضة بالخير، تُظهر بجلاء مكانة المسجد العظيمة في قلوب المؤمنين الموحدين المقرّين بفضل الصلاة فيه والتي تعدل خمسماية صلاة في غيره من المساجد باستثناء المسجد الحرام والمسجد النبوي.

يقول ﷺ: (فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وصلاة في مسجدي بألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسماية صلاة)[1].

ومع روعة هذه الحشود المتلهفة للطاعة والمشحونة بهذا العبق الإيماني الفياض، والأكف الضارعة المبتهلة إلى المولى ـ عز وجل ـ تطلب الرحمة والمغفرة والقبول، ومع هذه الروعة نجد بعض المظاهر التي لا تليق بالمسجد ومكانته وشرفه وعظمته وحرمته يقوم بها البعض تصيبهم الغفلة في سلوكيات غير مقبولة، وبخاصة في ظلال هذا المسجد المبارك، ويتسببون بتشويش هذا العبق الإيماني الفياض.

ومن الجدير بالذكر أن إدارة الأوقاف الإسلامية بالقدس تعمل ما وسعها العمل في مختلف المجالات لتهيئ للمصلين وضيوف الرحمن كل سبل الراحة، وتتخذ الإجراءات الضرورية اللازمة، وتتعاون هي وموظفوها من أئمة وحراس وسدنة

1 أخرجه البزار في البحر الزخار رقم 4142. والبيهقي في السنن رقم 1821، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 4211.

متكاتفة مع فرق المجتمع المحلّي من الكشافة والصحة والجمعيات الخيرية، والمتطوعين لخدمة المصلين وتيسير أمورهم.

وعلى الرغم من الجهود الجبارة تبقى بعض الأمور تحتاج إلى متابعة وبذل جهد أكبر للتغلب عليها، وتحتاج إلى زيادة وعي جمهور المصلين ولكونها تصدر عن بعضهم بقصد أو بغير قصد ومن هذه الأمور:

- يبذل الموظفون والفرق الكشفية جهودهم الكبيرة في التخفيف من الاختلاط والزحام، إلا أن المسجد يعجّ بعشرات الآلاف؛ بل مئات الآلاف من المصلين، وبخاصة أيام الجمع وليلة القدر، ومن أجل الترتيب والتنظيم فإن إدارة الأوقاف خصّصت للنساء قبة الصخرة المشرفة، والساحات المحيطة به، وخصّصت للرجال المسجد القبلي والساحات المحيطة به، ولكن نجد في بعض الجهات تداخلا بين صفوف الرجال والنساء فيكون بموازاة صفوف الرجال صفوف للنساء، وخاصة في الأروقة والساحات الشمالية، وهو أمر يحتاج إلى بذل جهد وترتيب يجعل المسلم مطمئنا إلى صحة صلاته، وإن كان في هذا الترتيب صعوبة إلا أنه يمكن تخصيص ساحات للنساء خلف صفوف الرجال.

وبعد الانتهاء من الصلاة أيام الجمع وليلة القدر يحصل ازدحام شديد على الأبواب أثناء الخروج، ويحصل اختلاط بالنساء، ومن الصعوبة أن نقول ليت هناك أبوابا مخصصة للنساء وأخرى للرجال، ولكن الهدي النبوي يدلنا على كيفية التصرف وهي أنه ﷺ كان إذا سلّم من الصلاة مكث قليلا كيما ينفذ النساء قبل الرجال في الخروج من المسجد[1].

وقد رأى النبي ﷺ اختلاط الرجال بالنساء عقب خروجهم من المسجد، فلما رآهم أرشد أن يسير الرجال في وسط الطريق، وأن تسير النساء على حافتيه[2] فالشريعة الغرّاء تهدف إلى تقليل الاختلاط بين الرجال والنساء، وتجعله في أضيق نطاق إذ أن من محاسن الشريعة أن تصون المجتمع وتسدّ أبواب الفتنة وتقمع داعي الشر والهوى، وتمنع كل ما من شأنه أن يخدش الحياء أو يتنافى مع الذوق العام.

---

1 أخرجه أبو داود.
2 أخرجه أبو داود.

- وبعد الإفطار، وبعد الانتهاء من صلاة التراويح يُسارع بعض المدخنين بإشعال سجائرهم في ساحات المسجد وينسى أن هذه الساحات هي مسجد ولا يجوز التدخين فيه، فعلاوة على صدور العديد من الفتاوى في تحريم التدخين، إلا أن الإصرار على التدخين مشكلة مزمنة تضرّ صاحبها، ولها سلبيات كثيرة من رائحة كريهة، ومخلفات تكون مصدرا للأوساخ، بل وربما كانت سبباً في اشتعال الحرائق، أضف إلى ذلك أن المساجد لم تخلق لمثل هذه الأشياء، وقد نهى رسول الله ﷺ من أكل ثوما أو بصلا عن الحضور للمسجد لأنه يؤذي برائحته غيره. يقول ﷺ: (إن الملائكة لتتأذى مما يتأذى منه بنو الإنسان)[1].

والأولى أن لا يتم التدخين في المسجد الذي يجب تجنيبه الروائح الكريهة والمستقذرات.

- وفي رمضان يُحيي المسلمون في المسجد الأقصى شعيرة سنّها الرسول ﷺ وهي شعيرة إفطار الصائم. يقول ﷺ: (من فطّر صائما فله مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا)[2].

وتقوم بعض الجهات الخيرية وفاعلو الخير بالتعاون مع إدارة الأوقاف الإسلامية في توفير وجبات إفطار للصائمين، وهي ظاهرة تُسعد القلوب بما تحمله من معاني التكافل الاجتماعي في إطعام الطعام للمحتاجين ولضيوف الرحمن الذين يفدون إلى المسجد للصلاة والعبادة، إلا أنه مع هذه الخيرية نلفت النظر إلى أن في بعض الأحيان إسرافا في جلب وجبات تزيد على حاجة الموجودين، وربما انتهى مصير هذه الوجبات إلى التلف، ويكون مصيرها إلى حاوية النفايات، وقد تكون في بعض الأحيان لا تكفي حاجة الموجودين، وهذا يتطلب التنسيق ما أمكن لتلافي ذلك.

ويلاحظ أن لهذه الوجبات مخلفات تتراكم في حاويات النفايات وفي الساحات تعكر صفو هواء المسجد بروائح بقايا الأطعمة، وهذه المخلفات تُسيء إلى نظافة المسجد والتي تصبح أكواما تحتاج إلى جهود كبيرة لإخراجها من المسجد،

---

1 متفق عليه.
2 رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وللتخفيف من عبء الروائح والنفايات نتمنى على المتبرعين بهذه الوجبات اختيار وجبات صحية خفيفة، ومخلفاتها محدودة، مع استنهاض الصائمين بالمشاركة في حملات تنظيف المسجد وتطهيره من المخلفات بالسرعة الممكنة، بل وتطييبه إن كان بالإمكان، ومن غير المقبول سلوكيا أن يقوم بعض من الصائمين على قلة منهم بالتسابق والتدافع للحصول على هذه الوجبات في مظهر غير حضاري لا يليق بالمسلم وسلوكه يستأثر بها لنفسه ولا يكترث لغيره.

- **وهناك ظاهرة تتكرر في كل عام وفي رمضان على وجه الخصوص، حيث ينتهز المتسولون شهر رمضان الكريم، ومحبّة الناس إخراج صدقاتهم وزكاة أموالهم، فنرى أعداداً ممن دفعتهم الحاجة، أو من اتخذوا التسوّل حرفة لهم، نراهم ينتشرون في ساحات المسجد، يلحّون على الناس ويستميلون قلوبهم بإظهار إعاقتهم البدنية ويطلبون الصدقات، وهم بسلوكهم هذا يشوهون صورة المجتمع المسلم، ويسببون إحراجا وإزعاجا للمصلين وهم يستحلفونهم لإعطائهم الصدقات التي ربما غيرهم يكون أحوج إليها منهم، وقد نهى الإسلام عن سؤال الناس في غير حاجة. فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم)[1].**

كما أن المتسوّل يذلّ نفسه ويُريق ماء وجهه وهو يطلب العطاء، وتعمل إدارة الأوقاف الإسلامية على الحدّ من هذه الظاهرة في المسجد، وتُرشد أصحاب الحاجة والمعوزين بالتوجه إلى لجان الزكاة التي تقوم بدورها بإعطاء أصحاب الحاجة بعد دراسة أحوالهم.

هذه الأمور التي تحتاج إلى متابعة وعلاج وتعاون حتى يبقى للمسجد روحانيته الإيمانية، وتصان حرمته، مما يكدر صفوها.

اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

1 حديث صحيح متفق عليه.

بعض ما تحدث به القرآن عن نفسه

إعداد: عزت محمد دوفش ـ المحرر المسؤول

منّ الله ـ عز وجل ـ على عباده بأن أنزل كتابه الخاتم، ورسالته الخالدة القرآن الكريم في شهر رمضان، شهر عظيم بالخير عميم، استحق أن يُسمّى شهر القرآن:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾[1].

وسُمّي كتابه بالقرآن ليكون محلّ مداومة واستمرار لقراءته، وقد كان قدوتنا النبي الكريم ﷺ مداوما على قراءته وتلاوته، وبخاصة في شهر رمضان يجمع بين عبادة الصوم والتعبّد بالتلاوة، ففي الحديث عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن"[2].

وفي العام الذي انتقل فيه الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى دارسه جبريل ـ عليه السلام ـ القرآن مرتين في رمضان، واقتداء بالنبي ﷺ اجتهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بقراءته، واجتهد المسلمون عامّة في اجتهاد عجيب في قراءته آناء الليل وأطراف النهار في رمضان وغير رمضان، ولكن في رمضان يزداد الاجتهاد على الطاعات، لأنه تضاعف فيه الحسنات.

---

1 سورة البقرة، الآية 185.

2 حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه رقم 6 ومسلم رقم 2308.

ولقد حظي هذا القرآن العظيم بعناية واهتمام لم يحظ به كتاب آخر فهما وتدبراً وتلاوة وتفسيرا، لأنه رسالة الله العظيم إلى عباده الفقراء إليه، يُرشدهم ويبصرهم لما فيه خيرهم بتوجيهات ربّانية، وتشريعات مُحكمة، تدعو أهل الأرض دعوة مفتوحة للأخذ به والعمل بمقتضاه، فيكون دستورا يُنظم حياتهم، ويُريهم طريق سعادتهم، ولكي نتلمّس حقيقة ذلك علينا أن نُدرك أهداف هذه الرسالة ونعرف غاياتها، وخير سبيل إلى ذلك أن نتأمّل ما يعرضه هو نفسه ويُبيّنه لنا من حيث أنه كتاب ربّاني، وتنزيل ووحي وصحف مُطهّرة يُستفاد منها، ويُستهدى بنورها. ولقد عرض القرآن الكريم كثيرا من الآيات التي يُعرّف فيها بنفسه وبصفاته والغاية منه، وبأنه كتاب هداية ورحمة للمؤمنين، وشفاء لما في الصدور، ويعالج بشمولية كل ما يهم العباد من عبادات ومعاملات وأخلاق، ولأن حديث القرآن عن نفسه واسع وكبير لا نستطيع تناوله بكل جوانبه نُشير إلى بعض من ذلك ومنها:

- القرآن الكريم كتاب هداية ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، ففاتحة الكتاب وهي مقدمته ترسم ملامح أهدافه بطلب الهداية من الله، نكرّرها في كل ركعة من صلاتنا:

﴿إهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[1].

وهذا يعني قصورنا وضعفنا وحاجتنا لمن يدلّنا على طريق الرشاد والسداد، وأن يحفظنا من الوقوع في الزيغ والضلال، والله هو الهادي إلى سواء السبيل الذي لا عوج فيه، فكان من رحمته ـ عز وجل ـ بنا أن أرسل الرسل ـ عليهم السلام ـ وأنزل الكتب يدلنا على ما فيه الخير لنا، ولينعم بالهداية كل مُكلّف له عقل يُفكّر، أو قلب يعي الحقيقة ويستوعبها، وما أكثر الآيات التي تتحدث عن الهداية منها:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2].

فالكتاب كله كتاب هداية ليس للمتقين فحسب ـ وإن خصّهم بذلك ـ بل هو للناس كافّة:

---

1 سورة الفاتحة، الآية 6.
2 سورة البقرة، الآية 2.

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾[1].

وهي هداية مقصوده نحو كل ما يقيم الحياة على الاستفادة المطلقة على أتمّ وجه وأفضل سبيل:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[2].

فهو يهدي إلى أفضل وأقوم طريق يُصلح حالهم في الدنيا والآخرة، ولا أفضل من الهداية إلى العقيدة السليمة الصافية القائمة على التوحيد والملتزمة بالمنهج الذي أراده الله ـ تعالى ـ لعباده المؤدي إلى العمل الصالح، والخلق الطيب، والمعاملة القائمة على الحق والعدل. هذه الهداية أقرّ بوجودها من استمع إلى القرآن الكريم من الجن أيضا، حيث شهدوا أن هذا القرآن يهدي إلى الرشد:

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3].

فاستجابوا ولم يترددوا في دعوة قومهم إلى اتباعه: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[4].

ولكي تكون الهداية صادقة قويمة بعيدة عن التخبّط في ظلمات الجهل والضلال والانحراف لا بد من نور وإضاءة تُحطّم العماية والظلمة، وكان القرآن الكريم بإشراقاته الروحانية نورا يفتح ويُسهّل أبواب الهداية، ولذا نجد القرآن يُسمي نفسه [بالنور].

1 سورة البقرة، الآية 185.
2 سورة الإسراء، الآية 9.
3 سورة الأحقاف، الآية 30.
4 سورة الأحقاف، الآية 31.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

فطريق الهداية مُنير واضح يمدّ القلوب بفيض من نسمات الإيمان التي تـزيل حالك الظلام، وتقي من كل زلل أو ضلال. فمن أراد الهداية والرشاد فلن يجدها إلا في هذا الكتاب الذي يقود إلى الصلاح والفلاح.

- **القرآن الكريم كتاب تذكير ووعظ، قد يقع المرء في غفلة تـُصيبه، أو قد يُصاب بالغرور فيظن نفسه على صواب، وقد لا ينتبه إلى أنه جانب الحق، لذا فهو بحاجة إلى من يُنبّهه ويُذكّره بل ويُبصّره بحاله ويُذكـّرها بمنهج الله الحق، فسمّى القرآن نفسه [**ذكرا، وتذكرة**] يقول:**

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[2].

و﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[3].

يذكر بهدايات الله وبدينه، ويُذكـّر العبد بضعفه وبحاجته إلى الله، ويُذكـّره بمصيره بعد هذه الحياة الدنيا التي قد تكون جنـّة ونعيماً، أو تكون ناراً وجحيما، فالتذكير ضروري حتى لا يغتر العبد بطول الأمل، فيكون مصيره ملقى في أودية الغرور. ومن ألطف أساليب التذكير وأشدّها تأثيرا على النفس تقديم ذلك بأسلوب الوعظ والنصح، والوعظ وإن كان يحمل في دلالاته التخويف من العواقب إلا أنه يعمد إلى ترقيق القلب ليستيقظ من غفلته، ويجعله يتقبل ما يلقى إليه برحابة صدر، لما فيه من الدروس والعبر التي تقود إلى برّ السلامة، وقد خاطب الله رسوله موضّحا له أسلوب الدعوة الناجح الذي يؤتي ثِماره المرجوّة بقوله:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4].

---

1 سورة الشورى، الآية 52.
2 سورة القلم، الآية 52.
3 سورة المزمل، الآية 19.
4 سورة النحل، الآية 125.

فالحكمة باستخدام العقل مقرونة بالدليل المناسب لإثبات الشيء أو نفيه، ووضع الشيء في موضعه، وزيادة في الإقناع لا بدّ من استخدام الموعظة والتي تعمد إلى مخاطبة المشاعر والضمائر والوجدان والضرب على الأوتار المُحرّكة للمشاعر تؤثر فيها وتجذبها نحو المرغوب فيه، وتهتز النفس طربا له فتتحمّس له وتتبناه. ومن يقدم الموعظة يكون خبيرا ببواطن الأمور، يسبر غورها ويستخلص النافع المفيد منها، وما أجمل أن تكون الموعظة من الله الحكيم الخبير فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1].

إن القرآن هو بكل ما فيه مواعظ تفصح وتذكر بالعواقب، وقد أكثر القرآن الكريم من ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم وما وقع فيه أقوامهم من ضلال كانت نتائجه وبالاً على من لم يستقم، ففي ذلك عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

- القرآن الكريم كتاب غايته الإبانة والوضوح لما يطرحه، وقد اختار الله ـ عز وجل ـ اللغة العربية ليُحقق الفهم الكامل للبشر لما يُريد إفهامه للخلق فقال:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

وفي أحد عشر موضعا من آياته صرّح بأنه نزل بلسان عربي مُبين، ومن حكمة الله ـ تعالى ـ أن اختار اللغة العربية دون غيرها من اللغات، لأنها ذات ميزات وسِمات لا توجد في غيرها من حيث الثراء اللغوي الكبير، ودقّة التعبير، ووضح الدلالة، وحُسن السبك، وروعة التصوير ببلاغة وفصاحة لا نظير لها:

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[3].

وأكّد على وضوحه وبيانه بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

---

1 سورة يونس، الآية 57.
2 سورة يوسف، الآية 2.
3 سورة هود، الآية 2.

وقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

فهو كتاب لا يضاهيه كتاب في بيانه وبلاغته وفصاحته وأساليب إقناعه، وقد تحدّى العرب أهل الفصاحة ومعهم الجن في أن يأتوا بمثله:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[3].

فعجزوا عن الإتيان بمثله، وأما هو فقد كان قرآنا عربيا غير ذي عوج، وأنموذجا لأحسن الحديث:

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا ﴾[4]. إنه كلام الله، ومن أصدق من الله قولا.

- القرآن الكريم كتاب صدق لا يتطرق إليه الشك والريب: ﴿ الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[5].

كتاب لا يُدانيه كتاب، مشتمل على ما لم تشتمل عليه الكتب السابقة عليه من اليقين، وقد نفى عن نفسه أن يكون حديث مفترى:

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[6].

---

1 سورة النور، الآية 34.
2 سورة النحل، الآية 89.
3 سورة الإسراء، الآية 88.
4 سورة الزمر، الآية 23.
5 سورة البقرة، الآيتان 1 و 2.
6 سورة يوسف، الآية 111.

فهو من جانب لا يتعارض مع الكتب السماوية، لأنه جاء من نفس المصدر الذي جاءت منه ـ قبل أن يصيبها التحريف والتبديل ـ وسيبقى هذا الكتاب بصدقه حاكما ومهيمنا على تلك الكتب:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1].

وهو من جانب آخر دليل على صدق نبوّة محمد ﷺ فقد بشّرت التوراة والإنجيل بمحمد الذي جاء مصدقا لتلك البشارة، وقد عرفوا صدق محمد قبل أن يُبعث، ولأنه كتاب صادق لا تجد فيه أي اختلاف أو تناقض أو سقوط أو تهافت، خلافا لما عليه كثير من الكتب التي يكتبها البشر:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[2].

ومن مستلزمات الصدق الالتزام بالحق مطابقا للفعل أو للقول بالقدر الواجب من الثبات.

يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وقوله: ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا﴾[4].

- القرآن الكريم ذو مكانة لا يرتقي إليها كتاب، فقد حاز على الشرف الكبير، وجمع المحاسن الكثيرة التي لا يجاريه فيها مجارٍ، ولا يصل إلى مرتبتها مبارٍ:

يقول ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[5].

---

1 سورة المائدة، الآية 48.
2 سورة النساء، الآسية 82.
3 سورة هود، الآية 120.
4 سورة القصص، الآية 53.
5 سورة الواقعة، الآيات 77 - 79.

ومن تكريم الله له خصّه بالحفظ والصون: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وزاد في التكريم بأن لا يمسّ الصحف التي كتب فيها إلا المطهرون، فإذا كانت صحائفه مُكرّمة فهو أولى وأجدر بالتكريم لعلو شأنه وعظيم مكانته، فقد قال عنه:

﴿إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[2].

ومن عظمة هذا الكتاب قوة تأثيره على القلوب والمشاعر، فتخضع وتخشع وتقشعر منه رهبة الجلود ثم تلين وترقّ حباً لله وذكره وتمجيده وتقديسه:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[3].

ولا يقف هذا التأثير عند البشر، بل تتأثر الجمادات، فهذا الجبل في غلظته وشموخه وقسوته وصلابته يتصدع خشية وخوفا ورهبة وتعظيما لله:

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[4].

وقد شهد الوليد بن المغيرة ـ وهو مشرك ومن أهل الفصاحة ـ بأن هذا القرآن يأخذ بمجامع القلوب لما يتحلى به يقول: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه". وذهب بعضهم إلى القول بأن له تأثير السحر، بل هو السحر لشدة تأثيره:

﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[5].

وما هو بسحر، ولكن تأثيره عجيب يأخذك بروعته وبراعته.

---

1 سورة الحجر، الآية 9.
2 سورة الزخرف، الآية 4.
3 سورة الزمر، الآية 23.
4 سورة الحشر، الآية 4.
5 سورة المدثر، الآية 24.

❁ والقرآن الكريم **كتاب يفتح أبواب خير متنوعة تجلب السعادة والطمأنينة والبشائر التي يتطلع الناس إلى الفوز والحصول عليها، ومن ذلك الخير أنه يقدم حلولا لجميع مشكلات الحياة من خلال تلك التشريعات الربانية التي تغطي كافة جوانب الحياة، مصداقا لقوله ـ تعالى ـ:**

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

وقوله أيضا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[2].

وإن هذه التشريعات تمتاز بالتزام العدل والحق لكي تستقيم الحياة والعلاقات على الوجه الذي يدفع الظلم ويشعر الجميع بالرضى والراحة. ومن الخير في هذا القرآن أن الله ـ تعالى ـ أرسله وأنزله رحمة بعباده، يهيدهم به سبل النجاة والسلام ويحيطهم بعين رعايته، ويكلأهم بحفظه، ويحنو عليهم بلطف ورقّة وعطف ويرحمهم:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

ففي تلاوته تتنزل الرحمة على العباد، فأي رحمة ستكون في تطبيقه والعمل به؟ لا شك أنها رحمة عظيمة. ومن الخير فيه أنه يُبشّر من يتبعه بالجنة دار الخلود، وهي أغلى ما يرجو العبد المؤمن أن يصل إليه في حياته الأخروية:

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[4].

---

1 سورة الأنعام، الآية 38.
2 سورة النحل، الآية 89.
3 سورة العنكبوت، الآية 51.
4 سورة الإسراء، الآية 9.

ومن الخير الذي فيه أنه شفاء من أمراض القلوب من شرك وكفر ونفاق وزيغ وميل عن الحق، وجهل وضلال وسوء خلق، فإنه البلسم الشافي لهذه الأمراض التي تصيب القلوب فيعالجها ويجعلها معلّقة بالله الرحمن الرحيم.

يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ويقول أيضا: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[2].

هذا بعض ما جاء في القرآن الكريم متحدثا عن نفسه، وهناك أحاديث كثيرة يمكن الوقوف عندها لأنها تكمل إيضاح الصورة عن حديث القرآن عن نفسه تحتاج إلى إظهارها وبيانها، ولكننا نبقى مقصرين في إدراك عجائبه التي لا تنقضي.

يقول رسول الله ﷺ: (إن هذا القرآن مأدبة الله فأقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل المتين والنور والشفاء النافع، عصمة لمن تمسّك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، وأما أنّي لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)[3].

1 سورة الإسراء، الآية 82.
2 سورة فصلت، الآية 44.
3 حديث صحيح ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 2/264.

أ.د: تيسير جبارة

ارتفعت أعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين زمن المندوب السامي واكهوب (صديق الفلاح) والمندوب السامي السابق تشانسليور، كما ازدادت مساحة الأراضي التي انتقلت إليهم بطرق مختلفة أهمها:

[1] عمليات تسوية الأراضي: **وكانت تتم على النحو التالي: كانت محاكم الأراضي تعتبر كل كوشان يهودي عثماني صحيحا، فتسجل هذه المحاكم باسم صاحب الكوشان كل شبر يدّعيه لنفسه من الأرض. أما الكوشان العربي العثماني فكانت المحاكم تسجله باسم الدولة وليس باسم صاحب الكوشان، وعندما يتم تسجيل هذه الأراضي باسم الدولة كان الإنجليز يقومون بتسهيل انتقالها إلى اليهود بهدوء وسرّية تامّة.**

[2] القوة المسلحة: **وخير دليل على ذلك قيام حكومة الانتداب بإرسال ست عشرة شاحنه محملة بالجنود في 1923/6/15 إلى وادي الحوارث قرب طولكرم، حيث أجبرت السكان العرب على الرحيل تحت تهديد السلاح.**

[3] خطة التضييق الاقتصادي على أصحاب الأراضي الشاسعة: **فكانت الحكومة تفرض الضرائب الكثيرة على الأهالي وأحيانا إيقاع أصحاب الأراضي تحت طائلة الدين، مما اضطر أصحاب الأراضي إلى بيع أراضيهم لسداد الديون المتراكمة عليهم. وحصلت هذه الطريقة مع عرب غير فلسطينيين لاسيما في منطقة الحولة وطبريا.**

كما اشترى اليهود سهل مرج بن عامر من عائلة سرسق اللبنانية، وهذا أوسع سهل في فلسطين، كما اشتروا مساحة واسعة من وادي الحوارث من آل التيان وهم من لبنان، وتقدر مساحة الأراضي 33 ألف دونم. وأجبر الإنجليز السكان العرب بالجلاء عن أراضيهم بالقوة. وهكذا سيطر اليهود على أراض تقدر مساحتها

6,8% من فلسطين حتى عام 1947، وهذه الأراضي اشتراها الصهاينة من ملاكين سوريين ولبنانيين كانت لهم أملاك في فلسطين.

وعندما أعلن اليهود تشكيل دولة لهم على جزء من أرض فلسطين عام 1948م كانوا يملكون [7%] فقط من فلسطين، لكنهم استولوا على أراضٍ أخرى نتيجة الحرب وطرد السكان العرب منها عام 1948م.

وقرر رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الحاج أمين الحسيني عقد مؤتمر من شيوخ فلسطين وحضر المؤتمر أكثر من [400] عالم بتاريخ 1935/1/25م بحثوا فيه ضرورة الدفاع عن البلاد المقدسة من الأخطار التي تتعرض لها ولاسيما خطر تسرب الأراضي من أيدي أصحابها العرب إلى اليهود بواسطة السماسرة والخونة وباعة الأراضي، واتخذ المؤتمرون قرارات لحماية أراضي فلسطين، فأصدروا فتوى دينية جاء فيها:

> [إن السماسرة والوسطاء وبائعي الأراضي يجب أن لا يصلى عليهم عند موتهم، وأن لا يسمح بدفنهم في المقابر الإسلامية، ويجب إهمالهم ومقاطعتهم، وألا يتخذوا أصدقاء، ويمنع التعامل معهم حتى لو كانوا آباء أو أولادا أو إخوة أو أزواجا أو زوجات].

صادرت السلطات الصهيونية آلاف الدونمات في 1976/3/29م من مناطق مكتظة بالسكان الفلسطينيين مثل قرى سخنين وعرابة ودير حنا وطرعان وطمرة وكابول، ودعا توفيق زياد رئيس بلدية الناصرة في اليوم التالي أي في 1976/3/30م احتجاجا على مصادرة الأراضي الإضراب الشامل، وهذه هي المرة الأولى التي ينظم فيها العرب في فلسطين احتجاجات ومظاهرات منذ عام 1948م، وذلك رداً على السياسة الصهيونية، وأطلق الصهاينة النار على المتظاهرين، فسقط منهم [6] شهداء هم: خير ياسين من عرابة، وخضر خلايلة من سخنين، وخديجة شواهنة من سخنين، ورجا أبو ريا من سخنين، ومحسن أبو ريا من كفر كنا، ورأفت

الزهيري من عين شمس الذي استشهد في الطيبة، هذا عدا عن آلاف الجرحى، ويعتبر هذا اليوم وهو 1976/03/30م هو يوم الأرض الفلسطيني.

إن [85%] من الشعب الفلسطيني شعبا مزارعا يحصلون على عيشهم من الأرض، إن ما تبقى من العرب في الأرض المحتلة (إسرائيل] [156,000] نسمة، أما بقية الشعب وهم الأكثرية فقد فرضت عليهم إسرائيل الهجرة القسرية والنزوح إلى الدول العربية المجاورة، وسميت أملاك المهجرين [أملاك غائبين]، وصادرت إسرائيل بين عامي 1948 - 2003م ألف كيلو متر مربع من المواطنين العرب في إسرائيل.

أعلنت إسرائيل أن جميع المظاهرات غير قانونية، وهددت بإطلاق النار على المتظاهرين والمحرضين، مثل معلمي المدارس الذي شجعوا الطلاب على المشاركة، ورغم ذلك خرج الطلاب من المدارس وانضموا إلى الإضراب، وكذلك شاركوا في المسيرات العامة التي جرت في جميع أنحاء البلدات العربية في إسرائيل من الجليل شمالا إلى النقب جنوبا، وجرت إضرابات تضامنية في وقت واحد تقريبا في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي معظم مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان.

وما زال العرب في جميع فلسطين يحيون يوم الأرض في كل عام في 3/30 من كل عام، ويقدم الفلسطينيون في كل عام شهداء في هذا اليوم التاريخي الذي أصبح يوما مهما في تاريخ الشعب الفلسطيني.

كانت إسرائيل قد صادرت آلاف الدونمات من الأراضي العربية ذات الملكية الخاصة أو المشاع تحت غطاء مرسوم جديد صدر رسميا في منتصف السبعينات أطلق عليه اسم [مشروع تطوير الجليل] والذي كان في جوهره الأساسي تهويد الجليل. وكان عدد الدونمات التي صادرتها إسرائيل [21] ألف دونم من هذه القرى والتي تدعى اليوم مثلث الأرض، والقصد تخصيصها للمستوطنات الإسرائيلية.

شبابنا إلى أين؟؟

خالد أبو جمعة ـ مدرس المسجد الأصى المبارك

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد: إنَّ أعظم ما يُبدأ به الكلام، وأجل ما تُشفى به الأسماع، هو كلام الله ـ تعالى ـ وهنا أقف على آية عظيمة، تقشعر لها الأبدان، وتخشع لها القلوب، وتدمع منها العيون، وخاصة في هذه الأيام، حيث نعيش على واقع الاضطرابات الفكرية والمنهجية التي أثَّرت على شبابنا المسلم وتزداد تداعياتها يوماً بعد يوم، وكأنَّنا نسينا أو تناسينا وغفلنا عن قوله ـ تعالى ـ:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[1].

قال ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ[2]: هذه أكبرُ نِعَم الله ـ تعالى ـ على هذه الأمَّة؛ حيث أكمل ـ تعالى ـ لهم دينَهم، فلا يحتاجون إلى دينٍ غيره، ولا إلى نبيٍّ غير نبيِّهم ـ صلَوات الله وسلامُه عليه ـ ولهذا جعله الله ـ تعالى ـ خاتمَ الأنبياء، وبعَثَه إلى الإنسِ والجنِّ، فلا حلالَ إلاَّ ما أحلَّه، ولا حرام إلاَّ ما حرَّمه، ولا دين إلاَّ ما شرعَه، وكلّ شيء أخبرَ به فهو حقّ وصدق لا كذب فيه ولا خُلف، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾[3].

أي: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنَّواهي، فلمَّا أكمل لهم الدّين تمَّت عليهم النِّعْمة؛ ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[1].

---

1 المائدة: 3.
2 تفسير ابن كثير: ج 5/ ص246.
3 الأنعام115.

أي: فارضوه أنتُم لأنفُسِكم، فإنَّه الدّين الَّذي أحبَّه الله ورضِيَه، وبعث به أفضل الرُّسُل الكرام، وأنزل به أشرفَ كتُبِه. أ.هـ. لذلك فليس للمسلمين حاجة أَنْ يُقلِّدوا أحداً من الأمم في شعائر دينهم وعباداتهم، فقد أكمل الله ـ تعالى ـ دينه، وأتمَّ نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً، من هنا نهى الشرعُ الحنيف المسلمين عن تقليد الكفار فيما يتعلق بأُمور دينهم وشعائرهم وخصائصهم التي يتميزون بها.

وهذا ثابتٌ في سنَّةِ رسول الله ﷺ فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اليَهُودَ والنَّصَارَى؟ قَالَ: (**فَمَنْ؟**)[2].**

ففي هذا الحديث نهيٌ عن تقليد اليهود والنصارى خاصَّة، وغيرهم من الأمم التي لا تتبع الإسلام، فقد ذمَّ رسولُ الله ﷺ من اتبعهم وسلك مسلكهم، وقد أكد الشرع هذا النهي؛ وذلك بوصف من يتشبه بالكفار بأنه منهم، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (من تشبّه بقوم فهو منهم**)**[3].

فالمسلم له شخصيته الدينية وهويته الإسلامية والتي تنطلق من قيم الإسلام الروحية، وتعاليمه السَّمحة، والمبادئ الأخلاقية، فلا تقبل التقليد والتبعية، والإنجراف خلف العادات الغربية؛ لكن من المؤسف هو انتشار بعض الظواهر الدَّخيلة، والعادة المشينة، والتَّقاليد الغربية، بين فئة من شباب المسلمين، وهذا من خلال تقليدهم الأعمى للغرب من منطلق ما يسمى بالتحضر والتَّقدم، فقلدوا الغرب من خلال لباسهم، وقصِّ شعرهم، وسيرهم وسلوكهم وحديثهم، وغيرها. وبالمقابل لا نجد دورا مؤثِّرا لأولياء الأمور، ولا حتَّى للمعلمين والمحاضرين، وغاب دور العلماء والأئمة من حيث التَّأثير، وها هي تنتشر بيننا في بيوتنا ومدارسنا وشوارعنا دون تحريك ساكن.

وهنا أسأل: فماذا فعل الأب؟ وماذا فعلت الأم؟ بل ماذا فعلت المدرسة؟ وماذا فعلت وسائل الإعلام والصحافة؟ وماذا فعل المسجد؟.

---

1 **المائدة: 3.**
2 **رواه البخاري (1397) ومسلم (4822).**
3 **رواه أبو داود (3512).**

فلو اختبرنا هذه العناصر الأساسية في بناء الشباب وتربيته وتوجيهه؛ لوجدنا التقصير الشديد في حق هؤلاء الشباب، وقد يطول المقام لو ضربنا الأمثلة على هذه كلها؛ أما الآباء فأجزم جزماً ـ وعندي الأمثلة والأدلة عليه ـ أنَّ بعضهم لا يدري عن ابنه أين ينام؟ وأين يذهب؟ ومن أين يأكل؟ ومن أين يأخذ مصروفه؟ بل بعضهم لا يدري في أية سنة يدْرس أبناؤه!!! وبعض الآباء يقولون: شباب اليوم خائب ولا خير فيه، وشباب اليوم يحب الرَّاحة، وشباب اليوم كسول أكول، وشباب اليوم كذا وكذا.... إلخ، وينسون واجبهم نحو أبنائهم.

أخي القارئ الكريم:

علينا أنْ نُدركة حقيقة واقعة، أنَّ الشَّباب المسلم اليوم، منبهر بالحضارة الغربية، يُتابعُ كل صيحات الموضة الغربية من خلال الإنترنت والتلفاز ومواقع التواصل الإجتماعي [الفيسبوك] وما هو جديد أولاً بأوَّل، فلا يترك شاردة ولا واردة، فالعالم أصبح قريةً صغيرةً يربطها رابطُ الشبكة الرقمية التي سَرَّعت التواصُل البشري، وتنوَّعت الثقافات والعادات ومجالات الترفيه والاستهلاك لكل أُمة من هذه الأُمم.

فالشاب عندما تصله هذه الأمور، يأخذها دون تردُّدٍ أو تفكير، ولا يكتفي بهذا بل ينشره لأصدقاءه ومعارفه، فينتشر مثل النَّار بالهشيم، وهذا نتيجة أوقات الفراغ القاتلة الّتي يقضيها معظم الشباب اليوم، وكذلك غياب الدور الرَّقابي للأُسرة، ممَّا أدَّى إلى ابتعاد الشباب عن القيم الإسلامية والعادات الدينية، كما يلعب غياب الوازع الديني وشعور الشاب باللامبالاة وغياب القدوة الحسنة، والمثل الأعلى للشاب، فنتيجة هذا الفراغ كله، يتطبَّع شباب الإسلام بالعادات الغربيّة السلبيّة، وأَصبحوا يلهثون وراء الغرب يُقلِّدونهم في كل شيء، لا يعبؤون إن كان هذا الشيء مُحرَّمًا ويصطدم بالشرع، أو مكروهًا والأَولى تركه، أو حتى تافهًا لا يستحق عناء كل هذا اللهث، وكأنَّ رسول الله ﷺ حيٌّ بيننا يصف ما تحياه الأمة وصفًا دقيقًا مُعبرًا، فقال ﷺ: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اليَهُودَ والنَّصَارَى؟ قَالَ: (فَمَنْ؟)[1].

---

1 رواه البخاري (1397) ومسلم (4822).

وهذا الاتباع واضحٌ تمامًا أن المقصود به الاتباعُ المذموم، وبلاغة النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار جُحْر الضَّبِّ أمر عجيب؛ فالضَّبُّ يصل عمره إلى ما بين الستين والسبعين، وهي غالب أعمار أمة الإسلام، وجُحْر الضَّبِّ مَعروفٌ عنه أنه شديد القذارة، وله فتحة واحدة، ليس كباقي الحيوانات التي تحفر جحورها في الأرض وتصنع لها عدة فتحات لتخدع أعداءها وتستطيع الهرب منها، فجُحر الضبِّ فيه مهلكة مُحققة إذا ما حُوصِرَ جُحْره من عدوٍ يتربص به، وكأنَّ الخطاب النبوي الشريف، أنَّ سلوك هذه الطريق لاخير فيها، ففيها القذارة المؤكَّدة، والمَهلَكةَ المحقَّقة، إلا أن المسلمين سيتبعون اليهود والنصارى في كل شيء، حتى لو كان ما يتَّبعونهم فيه القذارة والمهلكة، وهذا والله مما عمَّت به البلوى.

وأذكر بعض هذه المظاهر التي يُقلِّد شبابنا الغرب:

أولا: اللباس.

تعتبر الملابس من أكثر المظاهر تقليداً للغرب، وآخر تلك الصَّيحات، لُبْس الثياب الممزَّقة، والسراويل المشقَّقة، والأقمشة المخروقة التي ضجَّت بها الأسواق، وسالت بها الشوارع، وتأذَّتْ منها العيون، وقُصِفَتْ بها القلوب، وصُدِمت بها النفوس، وأساس هذا هو التقليد لبعض نجوم الفن والغناء، وأبطال التمثيل والرياضة الذين احتلُّوا من نفوس بعض شبابنا موقع القُدْوة التي يجب أن تُقتفى، والأُسوة التي يجب أن تُحتذى، غير آبهين بتعاليم ديننا الحنيف في اللباس، ولا بتقاليد مجتمعاتنا الإسلامية، ولا حتَّى بأنظار الناس الذين تشمئزُّ نفوسُهم من هذه الصيحات العجيبة، والموضات الغريبة التي تريد أن تثورَ على ما تعارَفَ عليه الناس، وترتدُّ عمَّا أَلِفوه من ثوب الحشمة والوقار، ولباس العِفَّة والسَّتر، فهذه الأثوابٌ لا تصلُح لدَرء حَرٍّ ولا لدَفْع بَرْدٍ، ممزَّقةٌ من أمام ومن خلف، فتمزَّقَ معها الحياءُ، وذهبت معها هيبة العفاف، كيف لا! وأنت ترى وللأسف رُكَبا بادية، وسُرَرا عارية، كُتوفا موصوفة، وصُدوراً مكشوفة أو.....

فسبحان مُغيِّر الأحوال، في الماضي كان الرَّث والترقيع للملابس الممزقة من نصيب الفقراء أما اليوم فأصبحت الملابس الممزقة موضة، يرتديها الذكور والإناث، بغض النظر عن أعمارهم، وتَبنَّتها ماركات عالمية، تصنع تلك الملابس الممزقة، وتروج لها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وباعها المسلمون في محلَّاتهم التجارية الضَّخمة، وإنْ سألت مَنْ يرتديها، يُجيب بكل بساطة [موضة] نعم [موضة] دخيلة

غريبة عنَّا، وها هي تنتشر بين طلبة المدارس الثانوية والجامعات، وبين الموظفين والموظفات، فهذه الظَّاهرة بحاجة إلى علاج سريع.

أترك لكم إخواني المجال لمناقشة حيثيات هذه الظاهرة وذلك بالتطرق للنقاط التالية:

[1] مصدر هذه الظاهرة وكيفية انتقالها إلى مجتمعنا المسلم.

[2] أسبابها.

[3] طرق الحد من انتشارها بين الشباب.

كما أرجو من أهل الإختصاص من أهل الفقه والشريعة، وعلماء الدَّعوة الإسلامية، وأساتذة التربية الإسلامية، والمختصين في علم الإجتماع التربوي، وعلم النفس وغيرهم، أن يدلوا بدلوهم في هذا الموضوع الهام.

ثانيا: الشَّعَر.

من الصيحات التي انتشرت في زماننا انتشارًا واسعًا يلفتُ الأنظار، ويدعو للتعجُّب والاستغراب، هذه الأنواع المتعدِّدة من حلاقة الشعر التي اكتسحَتْ صفوفَ أطفالِنا وشبابِنا، حتى ذهبَتْ بألْبابِهم، وأخَذَتْ بتلابيبهم، بعد أن انفتحوا على شبكة الإنترنت انفتاحَ المبهوت المنبهر، وتقصَّوا آثار المواقع الإلكترونية تقصُّص المسلوب المنبطح، ليقَعَ بصرُهم على رؤوس النجوم والفنانين والرياضيّين، قد غزتها هذه القَصَّات المريبة، والتحاليق الغريبة، التي دخلت عالم الموضة والأزياء والتجميل، حتى صار طلاب المدارس وعلى مختلف الماحل التّعليميّة، يُفضّلُون قصَّات شَعَر معينة عند حلَّاقين خاصّين بهم، قد يزورونهم مرتين في الأسبوع، وصارت القصَّات لها عشرات الأسماء، وبـ [كتالوجات] متعدِّدة، اعتمادًا على نمط الحياة الذي يعيشه المعني بالأمر، وحسب نوع الشَّعر الذي يمتلكه، وحسب شكل الرأس، واستدارة الوجه، ولون البشرة؛ فصِرْنا أمام القَصَّات الرومانسية والرياضية والكلاسيكية، والقَصَّة البريطانية، والكندية، والبوهيمية، والقيصرية، والقنفذية.... وغيرها.

بل بلغ التعجب بهؤلاء أنْ صَنَعُوا من شَعرِهم صورًا بشعة لحشرات مُرْعبة، وحيوانات مَخوِّفة، وجماجم مُقزِّزة، وارتأى بعضُهم أن يرسم وجوه نجوم الفن، ومشاهير الرياضة، وأبطال الأفلام والمسلسلات، وذهب بعضُهم إلى رسم علامات ورموز تُشير إلى مذهب فكري معين، أو تصوُّر عَقَدي. وزادوا الصيحة تكثيفًا حين

استعملوا الألوان، الأحمر منها والأزرق والأخضر والبنفسجي وغيرها، فرسموا على رؤوسهم خرائط البلدان، والسهول والجبال ومسيل الوديان، والزخارف المزركشة بخليط الألوان، وغير ذلك من أعاجيب هذا الزمان. واختلطت كل هذه الوصفات الغريبة، بوضْع أعراف مصبوغة مرفوعة، تشبُّهًا بالدِّيَكة، أو ذيول خلفية مُنسابة كذيول الأحْصِنة، أو تعاقيص فوقية مكوَّمة كأسنمة الجمال المائلة.

ربما حلقوا النصف الأيمن من الرأس وتركوا الأيسر، أو حلَقُوا الأيسر وتركُوا الأيمن، أو حلَقوا الجانبين وتركوا الأعلى، أو حلَقُوا الوسط وتركوا الأطراف، أو حلَقُوا القافية وتركوا الناصية، أو حَلَقُوا الناصية وتركوا القافية، فأنت ترى في الطرقات والمدارس مَنْ يحلق بعض رأسه من أسفل، ويجعل باقي الشعر على شكل دائرة ويحلق ما تحته، ومنهم من يجعل في وسط الرأس خطاً يبدأ من ناحيته إلى مؤخرة رأسه.

أخي الكريم:

إنَّ العبث بطريقة حلق شعر الرأس من الظواهر التي ظهرت في مجتمعنا، وهي بحاجة إلى توجيه وحلٍّ، ولا بدَّ أنْ نضع تصوّراً كاملاً واضحاً لحل هذه الظاهرة المُقَزِّزَة.

ثالثاً: ظاهرة اقتناء الكلاب.

انتشرت ظاهرة التساهل في شراء الشباب والفتيات للكلاب لتربيتها والخروج معها، والسير بها في الطرقات والحدائق، فأنا وأنت أخي القارىء الفاضل لنحزن حينما نرى سريان العادات الغربية المغلوطة في أوساط شباب وبنات المسلمين، فأنت تجد الشاب يمشي في الشوارع وهو يجر خلفه كلباً أو يسير بجانبه، بل إنَّ بعضهم يجعلها معه في سيارته؛ بقصد المفاخرة أو الشهرة أو الإعجاب؛ وبالأخص كلاب [الهاسكيوالبوكسر والبيت بول].

علينا أَنْ نُبيّن لشبابنا وفتياتنا أنَّ اقتناء الكلاب وتربيتهم عادة غربية، سببها الشُّعور بالوحدة، نتيجة التَّفكُّك الأسري في تلك المجتمعات، ممَّا يُلجئهم الى مخالفة الفطرة السليمة في العادات والمظاهر، ومن ذلك ظاهرة اقتناء الكلاب لتملأ عليهم حياتهم الخاوية، هذه الكلاب التي باتت سمة من سماتهم وظاهرة من ظواهرهم يعرفون بها عن غيرهم، وقد حذرنا الشارع الحكيم من التشبه بهؤلاء لا سيما في مثل هذه العادات الوضيعة والدنيئة، ولعله قد غاب أو خفي على شبابنا وأولياء

الأمور ما جاء من النصوص الكثيرة التي تنهي عن اقتناء الكلاب وما تعلق بها وكراهية اتخاذها لغير حاجة.

فالرأي الشارع الحكيم في هذه المسألة واضح وجلي لا إشكال فيه، فالذي يقتنى كلبًا بلا حاجة جمع بين ذنبين عظيمين:

الذّنب الأول: **نُقصان الأجرة، فإنَّ تربية الكلاب سبب عظيم لنقص الثواب وزوال الحسنات الكثيرة من ذمة المسلم وقد ورد أنه ينقص قيراط، وفي رواية قيراطان. وقد فُسِرَّ القيراط بمقدار الجبل العظيم كأحد، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ:** (أيما أهل دار اتخذوا كلبا إلا كلب ماشية أو كلب صائد، نقص من عملهم، كلّ يوم قيراطان)[1].

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ سَمِعْت النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو ماشية، فإنه ينقص من أجره كلّ يوْم قيراطان)**. قَالَ سَالِمٌ: وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ:** (أو كلب حرث)[2].

الذّنب الثاني: **التشبه بالكفار: فهذه العادة السيئة، مِنْ تربية الكلاب في المنازل أصلها من المجتمع الغربي، فهم يقتنون الكلاب مِنْ غير حاجة معتبرة، فتراهم يتخذونها في بيوتهم ويخالطونها مخالطة الحيوانات الطاهرة فَيَمَسُّونها ويُقَبِّلونها ويَأْلفونها وتَمَسُّ متاعهم وفرشهم. إن تربية الكلاب على هذه الصورة في الأصل عادة قبيحة من عادات المجتمعات الغربية وغيرهم من الأمم الأُخرى، وقد وفدت على المجتمع المسلم في هذه الأزمنة، وانتشرت بسبب ضعف الوازع الديني، وغياب الثقافة الشرعية وإهمال الأهل، وعدم التوعية الدينية الكافية للعلماء والفقهاء والمدرسين.**

إن غير المسلمين يُعرفون بقلة الطهارة ومباشرة النجاسات والتَّساهل فيها، فهم يَعْتَنُونَ بإكرام الكلاب ورعايتها وإلفها ومحبتها كمحبة البشر أو أكثر في بعض الأحوال وهذا من انتكاس الفطرة ومخالفة الشرائع التي كرمت الإنسان على الحيوان. لذلك حذّر النبي ﷺ من اللهث خلف الغرب لتقليدهم بكل شيء، قال رسول الله ﷺ: (لتتبعنّ سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبّ

---

1 حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه رقم 1574.

2 متفق عليه.

لسلكتموه)، **قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اليَهُودَ والنَّصَارَى؟ قَالَ:** (فمن؟)[1]. **وكما ورد أيضا عن عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ:** (من تشبّه بقوم فهو منهم)[2].

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُشَابِهَ لِلشَّيْءِ لَا بُدَّ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ مِنْ أَحْكَامِهِ بِقَدْرِ الْمُشَابَهَةِ، فَإِذَا نَبَحَ نِبَاحَهَا كَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ مُقَارَنَةِ الشَّيَاطِينِ وَتَنْفِيرُ الْمَلَائِكَةِ بِحَسَبِهِ، وَمَا يَسْتَدْعِي الشَّيَاطِينَ، وَيُنَفِّرُ الْمَلَائِكَةَ: لَا يُبَاحُ إلَّا لِضَرُورَةِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يُبَحْ اقْتِنَاءُ الْكَلْبِ إلَّا لِضَرُورَةِ ؛ لِجَلْبِ مَنْفَعَةٍ: كَالصَّيْدِ، أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ عَنْ الْمَاشِيَةِ وَالْحَرْثِ حَتَّى قَالَ ﷺ (منْ اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو حرث أو صيد نقص من عمله كلّ يوْم قيراط)**. أ. هـ**[3]**. يقول النووي ـ رحمه الله ـ: "وَقَدْ اِتَّفَقَ أَصْحَابنَا وَغَيْرهمْ عَلَى أَنَّهُ يَحْرُم اِقْتِنَاء الْكَلْب لِغَيْرِ حَاجَة، مِثْل أَنْ يَقْتَنِي كَلْبًا إِعْجَابًا بِصُورَتِهِ، أَوْ لِلْمُفَاخَرَةِ بِهِ، فَهَذَا حَرَام بِلَا خِلَاف" أ.هـ** [4].

وأقول لمعاشر الشباب: لا تضيعوا أجوركم باقتناء الكلاب، فالمسلم يحرص على كسب الأجور وزيادتها وليس تضيعها لأنَّ الكلب من البهائم الخسيسة القذرة، وفي اقتنائه من المضار والمفاسد، من ابتعاد الملائكة الكرام البررة، عن المكان الذي هم فيه، ولما فيه من الإخافة والترويع، والنجاسة والقذارة.

وما ذكرته من أحاديث النبي ﷺ على تحريم اقتناء الكلاب إلا ما استثناه رسول الله ﷺ أو ما يقاس عليه من الكلاب البوليسية لكشف الجرائم والمخدرات، فلا تَحْرِمُوا أنفسكم من دخول الملائكة إلى بيوتكم؛ فعن أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة)[5].

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أَنَّهَا قَالَتْ: وَاعَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ، وَفِي يَدِهِ عَصًا، فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: (ما يخلف الله وعده ولا رسله) **ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَقَالَ:** (يا عائشة: متى دخل هذا الكلب ها هنا؟) **فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ،**

---

1 رواه البخاري (1397) ومسلم (4822).
2 رواه ابو داود 3512.
3 مجموع الفتاوى 259/32.
4 شرح صحيح مسلم (448/1).
5 متفق عليه.

فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (واعدتني فجلست لك فلم تأت) فَقَالَ: مَنَعَنِي الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ)[1].

وأمَّا بخصوص شراء وبيع الكلاب، فبيعها حرام، ولو كان الكلب مما يجوز اقتناؤه، وقد وردت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في النهي عن بيع الكلاب، وهي بعمومها تشمل جميع الكلاب، ما يجوز اقتناؤه، وما لا يجوز. فمن هذه الأحاديث: ما روي عن أَبِي جُحَيْفَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: "نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ"[2]. وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَمَهْرِ الْبَغِيِّ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ"[3]. وأيضاً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ، وَإِنْ جَاءَ يَطْلُبُ ثَمَنَ الْكَلْبِ فَامْلأْ كَفَّهُ تُرَابًا"[4].

قال النووي ـ رحمه الله ـ: وَأَمَّا النَّهْي عَنْ ثَمَن الْكَلْب وَكَوْنه مِنْ شَرّ الْكَسْب وَكَوْنه خَبِيثًا فَيَدُلّ عَلَى تَحْرِيم بَيْعه، وَأَنَّهُ لا يَصِحّ بَيْعه، وَلا يَحِلّ ثَمَنه، وَلا قِيمَة عَلَى مُتْلِفه سَوَاء كَانَ مُعَلَّمًا أَمْ لا، وَسَوَاء كَانَ مِمَّا يَجُوز اِقْتِنَاؤُهُ أَمْ لا، وَبِهَذَا قَالَ جَمَاهِير الْعُلَمَاء مِنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَة وَالْحَسَن الْبَصْرِيّ وَرَبِيعَة وَالأَوْزَاعِيّ وَالْحَكَم وَحَمَّاد وَالشَّافِعِيّ وَأَحْمَد وَدَاوُد وَابْن الْمُنْذِر وَغَيْرهمْ. أ. هـ[5].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: "ظَاهِر النَّهْي تَحْرِيم بَيْعه، وَهُوَ عَامّ فِي كُلّ كَلْب مُعَلَّمًا كَانَ أَوْ غَيْره مِمَّا يَجُوز اِقْتِنَاؤُهُ أَوْ لا يَجُوز، وَمِنْ لازِم ذَلِكَ أَنْ لا قِيمَة عَلَى مُتْلِفه، وَبِذَلِكَ قَالَ الْجُمْهُور" أ. هـ[6].

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: "تحريم بيع الكلب وذلك يتناول كل كلب صغيراً كان أو كبيراً للصيد أو للماشية أو للحرث وهذا مذهب فقهاء أهل الحديث

---

1 رواه مسلم.
2 رواه البخاري.
3 البخاري ومسلم.
4 قال الحافظ: إسناده صحيح. رواه أبو داود.
5 شرح صحيح مسلم (ج 10 ص 232).
6 في الفتح(490/4).

قاطبة، والنزاع في ذلك معروف بين أصحاب مالك وأبي حنيفة، ولا يصح عن النبي عليه الصلاة والسلام استثناء كلب الصيد" أ. هـ[1].

لذلك ينبغي علينا، من أولياء أمور ومدرسين وأئمة مساجد، بتوجيه الشباب بترك هذه الظاهرة السلبية التي انتشرت في أوساطهم والتي تشكل خطرا على معالم الهوية الإسلامية، والعادات الأصيلة، وتؤدي إلى تهميش الشباب عن دورهم الحقيقي.

رابعاً: ظاهرة العبث بالجوال اثناء خطبة الجمعة.

انتشرت ظاهرة العبث بالبلفون أثناء خطبة الجمعة، فما أنْ يبدأ الخطيب بخطبة الجمعة، حتى يسرع بتقليب صفحات جوَّاله [البلفون] فيقرأ، ويبحث في المواقع المختلفة، ويُرسل الرَّسائل، ومنهم من يضحك أو يبتسم، فكل هذا داخل في عموم حديث رسولنا الأعظم ﷺ: (منْ مسّ الحصى فقد لغا)[2]**. فهذا داخِل في معنى مسّ الحصى دُخولا أوّليا، لأنَّ مسّ الحصى يكون مُجرّد عبث دون انشغال ذِهن ودون قصد ومع ذلك يُعتبر من اللغو الذي يذهب معه أجر الجمعة، وتَصِحّ معه الصلاة، والعبث بالجوال لا يكون مثل مسّ الحصى بل هو أشدّ؛ لأن صاحبه ينشغل به ويقصد العبث به، وقد يشغل غيره معه.**

وقد أساء بعض الناس استخدام الجوال، سواء في نغماته أو فيما يحتويه من وسائل تسجيل وتصوير ورسائل ونحوها، بل هناك من المصلين من يستعرضون صُورَهم في الجوال، والإمام يخطب يوم الجمعة، وهم قد انشغلوا عن صلاتهم بتقليب صورهم ورسائلهم. فالعجب كل العجب من بعض المُصلِّين الذين يتساهلون في الإنصات أثناء الخطبة، وخاصة مَنْ يتحدَّث مع زميله، أو يتحدث بجواله، وكأنه لم يسمع قول رسول الله ﷺ: (إذا قلتَ لصاحبك أنصتْ يوم الجمعة، والإمام يخطب فقد لغوت)**، فقولُك لأحد المصلِّين (أنصِتْ) ـ وهو أمرٌ بالمعروف ـ نُهِيْتَ عنه أثناء**

---

1 في الزاد(393/4).
2 رواه مسلم.

الخطبة، فكيف بمن يعبث بهاتفه الجوال أثناء الخطبة، فهذا مخالفٌ للسُّنَّة رسول الله ﷺ ولِهَدْي الصحابة الكرام.

وقد ورد في الأثر أنَّ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كان يستمعون إلى خطبة الجمعة تعبدّاً، فأين نحن من ذلك؟! وقد وصل ببعض المصلين إلى التأخُّر في إكمال ورصّف الصف، فلا يُكبِّروا مع الإمام، بل انشغلوا عن أعظم شعائر الإسلام الظاهرة بِتوافِه الأمور، فيمزحون ويرسلون الرسائل على الجوال ويصل ببعضهم أن يبدأ الإمام بتكبيرة الإحرام، وهو لاهٍ غافل، هذه ظاهرة مؤلمة، بحاجة إلى توجيه وعلاج.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آل بيته الطاهرين وصحابته الكرام والتابعين.

دور التكايا في إطعام الطعام في رمضان

لبيب فالح طه

تعتبر عادة إطعام الطعام، وبالذات إلى مستحقيه، إحدى الصفات التي يتصف بها الأبرار، وهي من القربات التي يتم بواسطتها التقرب إلى الله، حيث يقول ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[1].

هذا فضل إطعام الطعام في أيام السنة المختلفة، أما في رمضان فالأجر أكبر وأجل، حيث يروى عن زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (من فطر صائما كان له مثل أَجره غير أَنه لا ينقص من أجر الصّائم شيئا)[2].

---

1 سورة الإنسان:8-9.

2 سنن الترمذي، كتاب الصوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل من فطر صائما رقم 807.

لذلك يحرص المسلم الذي يريد الثواب في الدنيا والآخرة على إطعام الصائمين، وقد قامت الممالك والدول الإسلامية عبر العصور من أيوبية ومملوكية وعثمانية بإطعام الطعام للصائمين والمجاهدين وطلبة العلم والمحتاجين عبر إنشاء التكايا في مختلف البلدان الإسلامية.

تعريف التكية:

التكية هي الكلمة التركية المسايرة للخانقاه وللزاوية. لذلك فإن البحث عن التكايا في فلسطين يتناول الخوانق أو الزوايا التي أسسها العثمانيون فيها وأطلق عليها اسم تكايا، وكذلك الزوايا التي غلب عليها اسم تكايا في العصر العثماني مع أنها أنشئت قبل ذلك العصر[1].

وكلمة [تكية**] نفسها كلمة غامضة الأصل، وفيها اجتهادات، فبعضهم يرجعها إلى الفعل العربي [**وكأ واتكأ**] بمعنى: استند أو اعتمد، خاصة أن من معاني كلمة [**تكية**] بالتركية الاتكاء والتوكؤ والاستناد إلى شيء للراحة والاسترخاء. ومن هنا تكون التكية بمعنى مكان الراحة والاعتكاف[2].**

كانت كلمة [تكية**] تطلق عند العثمانيين على ثلاثة أشياء: مقام أو مزار أحد الأولياء، زاوية أو خانقاه يقيم فيها الدراويش والصوفية، خان أو نزل لراحة الحجاج والمسافرين. وكانت هذه المعاني مستعملة كلها في فلسطين، ولكن المعنى الغالب والأكثر شيوعاً أنها منشأة لتقديم الوجبات الشعبية المجّانية للفقراء[3].**

تاريخ التكايا:

بنى صلاح الدين الايوبي (1138-1193) عددا من تكايا الدراويش. وكانت هذه التكايا بمثابة خانقات صوفية، مما أسس لمثل التكايا قبل مجيء العثمانيين الذين جاؤوا فوجدوا بلاد الشام ملأى بالخانقات والتكايا. وكان صلاح الدين هو الذي أدخل

---

1 التكايا، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الأول: القسم العام، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984، ص 564.
2 نفس المصدر، ص 564.
3 نفس المصدر، 564.

نظام التكايا الصوفية إلى مصر وفلسطين[1].أما الخانقات أو الخوانق فهي مفرد خانقاه أو خانكاه، وهي كلمة فارسية تعني البيت، وفيها غرف لمبيت الفقراء والصوفية... وفي القرن الثالث عشر أصبح تعبير زاوية أو رباط أو خانقاه يعني المكان نفسه، مع اختلاف في الحجم والمساحة[2].

تطورت التكية التي ظهرت بشكلها المستقل منذ القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وهي تعود الى التوسع في مفهوم التصدق على المحتاجين... وفي القرن الخامس الهجري عرفت وقفية الأمير (طمغاج بغرا قرامان) على مدرسته التي بناها في سمرقند، حيث ذكر أنه يصرف إلى ثمن الخبز واللحم والحوائج لاتخاذ الضيافة في هذه المدرسة في ليالي شهر رمضان ثلاثة آلاف درهم وثلاثمائة وخمسون درهماً[3].

في القرن السابع الهجري عرفت الخانقاه التي خصصها صلاح الدين الايوبي في القاهرة للصوفيين المقيمين فيها، كانت الخانقاه التي عرفت باسم (خانقاه سعيد السعداء) قد خصصت كل يوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة أرطال، وقطعة لحم زنتها ثلث رطل، ويعمل لهم الحلوى كل شهر[4].

إضافة إلى التكايا فقد بنى العثمانيون في آخر قرنين من حكمهم القصور والمدارس والنافورات العامة (السبيل)، ونافورات عصير الفاكهة (الشربة) الذي كان يوزع في شهر رمضان وفي الشهور المباركة مجانا، ونافورات المساجد المخصصة للوضوء والحمامات العامة والسرادقات والجسور والقلاع[5].

أهم التكايا في فلسطين:

---

1 شاكر النابلسي، عصر التكايا والرعايا وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999 ، ص 99.

2 نفس المصدر، ص 99.

3 محمد الارناؤوط، الوقف في العالم الإسلامي ما بين الماضي والحاضر، ط1، بيروت، جداول للنشر والتوزيع، 2011، ص 58.

4 نفس المصدر، ص59.

5 شاكر النابلسي ، مصدر سابق، ص 524-525.

بالرغم من أن أكثر ما كان يطلق عليه اسم [تكايا] زمن العثمانيين كان زوايا أو خوانق أسست قبل العصر العثماني فإن الفترة العثمانية في فلسطين شهدت نشوء تكايا كثيرة جديدة في القدس وجنين ونابلس وغيرها. ومن أهم التكايا في فلسطين:

التكية المولوية: **تقع هذه التكية بحارة السعدية في القدس.**

تكية خاصكي سلطان: **تقع في مدينة القدس في عقبة التكية المعروفة باسم عقبة المفتي شرقي دار الأيتام الإسلامية. أنشأتها خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني سنة 959هـ/1551م ووقفت عليها أوقافا كثيرة كانت منتشرة في سناجق القدس وغزة وصفد وصيدا.**

تكية فاطمة خاتون: **فاطمة خاتون ابنة محمد بك، وحفيدة السلطان قانصوه الغوري آخر سلاطين المماليك. وقد بنت في جنين جامع جنين الكبير سنة 974هـ وحبست عليه أوقافا كثيرة. كما أقامت تكية بجانب الجامع تقدم الطعام والمأوى للأغراب والمسافرين[1].**

تكية سيدنا الخليل في مدينة الخليل: **التي تعود إلى عهد الفاطميين. أزيلت التكية وملحقاتها سنة 1964 ضمن مشروع إزالة الأبنية من حول المسجد ونقلت بعد ذلك إلى مكان مؤقت بجانب بركة السلطان في المدينة قبل أن تعاد مرة أخرى إلى مكانها عام 1984 إلى جانب الحرم الإبراهيمي من الجهة الغربية[2].**

تكية النبي موسى: **في أواسط القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بنى الظاهر بيبرس مقام النبي موسى بين القدس وأريحا.**

تكية المغربي: **هو اسم آخر للخانقاه الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي في حطّين.**

---

1 **التكايا، الموسوعة الفلسطينية، مصدر سابق، ص 565.**

2 **عماد البشتاوي وباسم احشيش، تكية سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام (الخليل-فلسطين) في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مجلد 1،عدد 1، 2014، ص 212.**

تكية عيون التجار: **وهي خان يطلق عليه اسم تكية. ويضم الخان حصناً أيضاً. وهو يقع في خربة عيون التجار بقضاء طبرية. أقيم الخان سنة 843هـ/1440م زمن المماليك الشراكسة.**

التكية الدرويشية: **تقع إلى الجنوب الشرقي من جامع التيّنة بنابلس. توقفت التكية الآن وأصبحت مساكن لسدنتها من آل البسطامي بعد أن درست أوقافها.**

تكية السري السقطي: **في جبل جرزيم غربي نابلس[1].**

وهناك أيضا تكيتان في غزة هما تكية عبد العظيم وتكية مرغان[2].

---

1 **التكايا، الموسوعة الفلسطينية، مصدر سابق، ص 566.**

2 **المساجد والزوايا والتكايا في فلسطين، متوفر على موقع:**
http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=9554
تم الوصول إليه بتاريخ 2016/4/23.

دور التكايا الخيري في إطعام الطعام بين الماضي والحاضر:

لأن رمضان شهر الخير والصدقات، فلا بد من الاهتمام بالصائمين بشكل عام، والصائمين من الفقراء والمسافرين وغيرهم. كانت التكايا تقدم طعاما بسيطا في أيام السنة المختلفة، أما في رمضان فلا بد من تقديم ما يليق بالصائمين ويقيم أودهم. ولهذا جاء أن التكايا تقدم الطعام الذي يحتوي الشوربات والأرز في معظم أيام السنة. أما في أيام الجمع وليالي رمضان والأعياد وعاشوراء فكانت تقدم الأطعمة الغالية التي تحتوي العسل ولحم الضأن وتضاعف كميته[1].

في القدس كانت تكية خاصكي سلطان تقدم حساء كل صباح لكل من يرغب في تناوله، كما تقدم وجبة غداء مؤلفة من الأرز والخضار واللحمة كلي يوم ثلاثاء، وفي رمضان تقدم التكية وجبة فطور يومية[2].

أنشئت في مدينة نابلس [تكية نابلس**] قبل حوالي أربعة أعوام، وتقوم التكية خلال رمضان- بحسب عماد اللحام المشرف عليها- بتوزيع ما لا يقل عن 1200 وجبة داخل مدينة نابلس ومخيماتها وبعض قراها[3].**

أشار الحاج حسنين العفوري ـ الناشط بمجال الخير وعضو لجنة زكاة نابلس ـ إلى أن تكية نابلس تقدم خدمات خلال العام ولا تقتصر أنشطتها على شهر رمضان التي تعد أكثر من ألف وجبة طعام أسبوعيا للفقراء وعلى مدار السنة، كما يتعدى دورها الطعام والشراب إلى الكساء والمأوى كجهات منبثقة عن لجان الزكاة[4]. يشير العفوري إلى أنّ مدينة نابلس كانت تحتوي على تكايا في مختلف الفترات التاريخية. وكانت التكايا تقدم الطعام للمحتاجين والأسر المستورة، إلاّ أن ظروف الاحتلال أدت إلى انقطاع عمل التكايا حتى إنشاء التكية الأخيرة. كما يشير إلى

---

1 أحمد العلمي، تكية خاصكي سلطان، الأسوار، العدد 18، 1998، ص251.

2 نفس المصدر ، ص 253.

3 عاطف دغلس، التكايا بفلسطين ستر للفقراء ودفع للسؤال، متوفر على موقع: http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2015/7/2 آخر تحديث 2015/7/2. تم الوصول إليه بتاريخ 2016/4/23.

4 عاطف دغلس، التكايا بفلسطين ستر للفقراء ودفع للسؤال، متوفر على موقع: http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2015/7/2، آخر تحديث 2015/7/2.

الفعالية الكبيرة لعمل تكية نـابلس الحاليـة، مـع تقديمها أكثر من 2000 وجبـة طعام يومياً للعائلات المحتاجة خلال شهر رمضان الحالي. كذلك يلفت إلى أنّ تكيـة نـابلس تعمل على تقديم وجبات الطعام مرتين أسبوعياً طوال العام لتلك العائلات. وتستمد التكايا في فلسطين تمويلها الأساسي من أهل الخير والعطاء في كل مدينـة وذلك عن طريق صناديق الزكاة والتبرعات المباشرة. وهو ما يؤكده كثيرون على أنّه يعزز من قيم التكافل بين أفراد المجتمع[1].

وفي تكية سيدنا إبراهيم في الخليل العريقة في الخليل يبدأ منذ اليوم الأول من شهر رمضان المبارك عمل التكية بشكل أوسع،كما يقول مدير الأوقاف في مدينـة الخليل إسماعيل أبو الحلاوة المسؤول عن التكية وتشغيلها. حيث يقول: "التكية تعمل على مدار العام، ولكن في رمضان تقدم وجبات كاملـة وبكميات أكبر ولكل من يلجأ إليها"[2].

يقول أبو حلاوة: "التكية تعمل على مدار العام، لا تتوقف عن أعداد الوجبات إلا يومي عيد الفطر والأضحى حيث تقدم في الأيام العادية الآلاف ربطات الخبز، وحساء سيدنا إبراهيم، وهو عبارة عن القمح المجروش المطبوخ بدون أي إضافات، والذي يعرف في المدينة بالدشيشة".

وفي يومين الجمعة والاثنين على مدار العام، تطبخ التكية وجبات كاملة من اللحوم أو الدجاج والخضروات والأرز، والخبز، ولكن في رمضان يكون طبيخ الوجبات كاملة كل يوم مع الخبز، حيث يطبخ كل أنواع الطعام البيتي، بحيث يبقى الصائم في أجواء البيت ورمضان.

---

1 خلف يوسف، 11 يوليو 2015، تكايا فلسطين.. إرث يزدهر في رمضان، متوفر على موقع:
https://www.alaraby.co.uk/society/2015/7/11/
تم الوصول إليه بتاريخ 2016/4/25.

2 تكية إبراهيم عليه السلام حيث لا يجوع أحد في الخليل، متوفر على موقع:
https://paltoday.ps/ar/post/240930
آخر تحديث في 01:39 - 20 آذار / يونيو 2015.

وخلال اليومين الأوائل من شهر رمضان استفاد من التكية قرابة الخمس الآلاف عائلة، في اليوم الأول تم توزيع 2500 وجبة، وفي اليوم الثاني "يوم الجمعة حيث تقل توزيع الوجبات" فقط 2350 وجبة، وكل وجبة تكفي لعائلة مكونة من خمسة أشخاص[1].

ولا يقتصر المستفيدون من التكية على أهالي مدينة الخليل فقط، بل يتعداها إلى القرى والمحيطة، وبالمحافظة كاملة، يقول أبو حلاوة أن عائلات من البلدات والقرى البعيدة ويؤمون التكية لأخذ نصيبهم من الوجبات، وللزوار المدينة أيضا من المحافظات الأخرى. وتعتمد التكية بالكامل خلال شهر رمضان على دعم وتبرعات التجار والمحسنين من مدينة الخليل ذاتها، فيما عدا يومين يتم طهو الطعام بالكامل على نفقة الهلال الأحمر الإماراتي، كما يقول أبو حلاوة: "أعتدنا كل عام أن يقوم أحد المحسنين بتكفل بتكاليف طهو الطعام على حسابه، حتى أن كل يوم من أيام رمضان مخصص لأحدهم حيث يقوم بتغطية تكلفة كافة احتياجات طهو وجبة التكية لذلك اليوم"[2].

تقدم وجبات الحساء (الشوربة) المكونة من القمح المجروش والمطبوخ لمئات الأسر يومياً على مدار العام، وفي شهر رمضان يتم تقديم وجبات ساخنة من اللحم والدجاج مع الأرز. وتقدم في الأيام الأولى من شهر رمضان ما يزيد على ألف وجبة يومياً، وقد تصل إلى ثلاثة آلاف وجبة مع نهاية شهر رمضان المبارك[3].

في رمضان من العام الماضي 1436/2015 ذكرت وكالات الأنباء افتتاح تكية بيتونيا، لتكون اول تكية في محافظة رام الله والبيرة كما ، وهذا يدل على أن ثقافة إطعام الجائع والصائم والفقير بدأت تتعزز كثقافة ورثها المسلمون من دينهم الحنيف.

الحاجة لإحياء سنة إطعام الطعام:

هذا هو تاريخ المسلمين، وهذه سنتهم في رمضان وفي إطعام الطعام والرفق بالفقراء والصائمين والمغتربين، وهي سنة حسنة يحتاجها المسلمون في كل مكان

---

1 نفس المصدر.
2 نفس المصدر.
3 نفس المصدر.

وزمان، وخاصة في هذا العصر الذي غلت فيه الأسعار وكثرت فيه الحروب وارتفعت معدلات الفقر في مختلف بقاع الأرض.

رمضان شهر التوبة والغفران

بقلم الأستاذ: حسين محمد حسين جاموس

الحمد لله رافع السماء بلا عمد، وباسط الأرض وخالق النعم بلا عدد، أكمل لنا الدين وأتمه على يد خير البشر، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له المعبود الحق على الدوام، وعد الموحدين من عباده بالجنة دار السلام، وتوعد العصاة بجهنم دار الانتقام، واشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للأنام، ختم الله به الأنبياء فكان مسك الختام، من التزم سنته اهتدى واستقام، ومن أحدث في أمره ما ليس منه فهو ردٌ مع الآثام، ﷺ أكمل صلاة وأتم سلام، ورضي الله عن آله الطيبين الأعلام، وصحابته الخيار الكرام، أما بعد:

تمهيد:

إنّ لشهر رمضان المبارك فضل عظيم ومكانة كبيرة في الإسلام، فصيام هذا الشهر هو فرض عين على كل المسلمين، حيث يعتبر صيامه الركن الرابع من أركان الإسلام الخمسة. وقد جاء في الكثير من النصوص الشرعية ما يبين فضل هذا الشهر ومزاياه التي يتميّز بها عن باقي الشهور.وقد أشار الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى هذه الفوائد في قوله:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

---

1 سورة البقرة: 185.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: (هذا شهر رمضان جاءكم تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتسلسل فيه الشياطين)[2] **فهذا الشهر هو شهر القيام وتلاوة القرآن، شهر العتق والغفران، شهر الصدقات والإحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنات، وتضاعف فيه الحسنات وتقال فيه العثرات، شهر تجاب فيه الدعوات، وترفع فيه الدرجات، وتغفر فيه السيئات، شهر يجود الله فيه ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده بأنواع الكرامات، ويجزل فيه لأوليائه العطيات، لذلك كان لابد لنا من بيان مزايا هذا الشهر حتى تكون نبراسا ودافعا لكل مؤمن أن يحرص على أداء ما افترضه الله عليه في هذا الشهر.**

مزايا وخصائص هذا الشهر الفضيل:

[1] شهر رمضان وصيامه يكفر الذنوب: **فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول ﷺ كان يقول** (الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مكفِّراتُ ما بينهنَّ إذا اجتَنَبَ الكبائر)[3]. **وقال الإمام المناوى ـ رحمه الله ـ :"قوله ﷺ:** (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان) **أي صلاة الجمعة منتهية إلى الجمعة وصوم رمضان منتهياً إلى صوم رمضان** (مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) **شرط وجزاء دل عليه ما قبله ومعناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فلا تغفر لا إن الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة فإن كانت لا تغفر صغائره"**[4].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ جاء فصعد المنبر فقال: (آمين). **ثم قال** (آمين). **ثم قال:** (أتاني جبريل فقال: من ذُكرت عنده فلم يصل عليك،

---

1 سورة البقرة: 183.
2 رواه النسائي في سننه، وصححه الألباني.
3 رواه مسلم.
4 التيسير بشرح الجامع الصغير : جـ2صـ208.

فدخل النار فأبعده الله، فقلت: آمين، ومن أدرك أحد والديه فدخل النار فأبعده الله، فقلت: آمين، ومن أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، فقلت: آمين)[1].

[2] الصيام في رمضان تفتح له أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد الشياطين:

عن أبي هريرة ـرضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: (إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين)[2]. **وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:** (إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة)[3].

[3] العمرة في رمضان ثوابها مضاعف: **فعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ** (عُمرة في رمضان تعدل حَجَّةً)[4].

[4] ومن فضائل رمضان وخصائصه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر: **قال ـ تعالى ـ:**

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[5].

[5] من فضائله صلاة التراويح: **فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:** (من قام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه[1])، **فقوله ﷺ:**(من قام

---

1 أخرجه الحافظ ابن شاهين فى فضائل رمضان حديث 6.
2 رواه النسائي في سننه، وصححه الألباني.
3 رواه الترمذي وصححه الألباني.
4 رواه مسلم.
5 سورة القدر: 1-5.

رمضان إيمانا)**: أي تصديقاً بأنه حق معتقداً فضيلته، واحتساباً يريد به الله وحده لا رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص غفر له ما تقدم من ذنبه.**

[6] ومن فضائله الاعتكاف**: فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ: "أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده[2]"() قال الإمام الصنعاني ـ رحمه الله ـ: "فيه دليل على أن الاعتكاف سنة واظب عليها رسول الله ﷺ وأزواجه من بعده".**

[7] شهر رمضان شهر الجود ومدارسة القرآن**: فعن ابن عباس قال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[3]"().**

الأمور الـمُستحبّة في رمضان:

[1] تغيير العادات**: ففي رمضان تكمن فرصة تغيير العادات السيئة استبدالها بأخرى جيّدة، كالسّهر الطويل ليلاً والنوم كثيراً في النهار.**

[2] تعلّم الصبر**: فمن يصبر على الجوع والعطش يستطيع الصبر على الأمور الأخرى التي تحتاج وقت انتظار، والصبر خصلة مهمة يجب على الجميع أن يتحلّى بها . فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:** (قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله، يوم القيامة، من ريح الـمسك)[4]**.**

---

1 رواه البخاري ومسلم.
2 رواه البخاري.
3 رواه البخاري.
4 رواه البخاري ومسلم.

[3] كسر شهوات النفس: **شهوة الجسد، واللسان، والعين، والأذن، وباقي الجوارح، فيمتنع عن السّب والشّتم وسوء الخلق كامتناعه عن الطعام والشراب، والحاجة الجسدية، وغضّ البصر وكفّ الأذى وتجنّب الإصغاء إلى المُحرّمات.**

[4] تطهير النفوس من الضغينة: **فيُنقّي المسلم نفسه من الأحقاد والخصومات السابقة طمعاً بالأجر والمغفرة، فيسامح من أخطأ بحقّه، ويعتذر ممّن تسبّب لهم بالأذى، فتصفو النفوس، وتزول الخطايا، وتسود المحبّة بين المجتمع.**

[5] الإقبال على العلم: **أول العلم القرآن الكريم، وبمدارسة القرآن تُفتح أبواب العلم كاملة، فيقبل المسلم على التّعلم والاستزادة في العلم ليفهم القرآن الكريم، ويتوسّع معها في مختلف مجالات العلوم، ولا يقتصر هذا البحث على القرآن فقط، بل يمتدّ ليشمل العلوم كافّة باختلاف مواضيعها، ممّا يخلق جيلاً قارئاً واعياً لمتطلّبات عصره وحاجته.**

شهر الفتوحات الربانية والانتصارات الإسلامية:

وأخيرا فقد كان هذا الشهر قد اختص بمزايا تاريخية حملت فيه ثناياه معالم حضارة ورقي إسلامي عبر التاريخ: فهو أولا كان معلناً نزول الكتاب الذي كان ولا يزال منار الهداية، ومطلع السعادة؛ كما قال ـ تعالى ـ:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[1].

فهو شهر نزل فيه الكتاب الذي ملأ العقول حكمة، والقلوب طهارة، وكان كل الهداية. كما أنه الشهر الذي فتحت فيه مكة المكرمة، ذلك الفتح الذي علت به كلمة الإسلام في البلاد العربية، وعلى أساسه قامت الفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب. فكان مفتاحا لانتصارات المسلمين ورفعة رايتهم وتألق حضارتهم.

---

1 سورة البقرة: 185.

إن الفرح بقدوم هذا الشهر هو من علامات الإيمان، وكذا فتحري الهلال أيضاً مما كان يحرص عليه السلف رحمهم الله، وكان القاضي يخرج مع الناس إلى ظاهر البلد لتحري الرؤية، فينبغي التزود بالعلم النافع من معرفة الأحكام المتعلقة بالعبادات في هذا الشهر ففيه صيام، وقيام، وكثير من الناس يخرجون فيه الزكاة، وفيه اعتكاف، وكثير من الناس يعتمر فيه، وفي نهايته صدقة الفطر، اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم

د: شفيق عياش

معناه لغة: **الحكر "بفتح الحاء وسكون الكاف" الظلم وإساءة المعاشرة، وبالتحريك "بفتحتين" ما احتكر، أي حبس انتظارا لغلائه، والحكر "بضم الحاء" اسم من الاحتكار[1] وفي مختار الصحاح للرازي: احتكار الطعام أي جمعه وحبسه يتربص به الغلاء[2].**

أما تعريفه في الاصطلاح: **لقد عرفه الشافعية بأنه اشتراء القوت وقت الغلاء لإمساكه وبيعه بأكثر من ثمنه[3].**

---

1 القاموس المحيط للفيروز أبادي 13/2.
2 مختار الصحاح للرازي ص148.
3 المنتقى على الموطأ 15/5 وما بعدها القوانين الفقهية ص255 وما بعدها، انظر الفقه الإسلامي وأدلته 583/3.

وعرفه المالكية: **بأنه الادخار للبيع وطلب الربح بتقلب السوق، أما الادخار للقوت فليس من الاحتكار**[4].

كما عرفه الحنفية بقولهم: **الاحتكار لغة مصدر حكر، أي حبس، فهو احتباس الشيء انتظارا لغلائه والمراد به شرعا: حبس الأقوات متربصا للغلاء، أو هو اشتراء طعام ونحوه وحبسه إلى الغلاء أربعين يوما لقوله ﷺ:** (من احتكر طعام أربعين ليلة فقد بريء من الله وبريء الله منه، وأيما أهل عرصة **ـ بقعة** ـ بات فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله)[5].

وقال الحنابلة: **الاحتكار المحرم، ما اجتمع فيه ثلاثة شروط:**

[1] أن يكون بطريق الشراء لا الجلب، فلو جلب شيئا أو أدخل من غلته شيئا فادخره لم يكن محتكرا لقوله ﷺ: (الجانب مرزوق والمحتكر ملعون)[1].

[2] أن يكون المشترى قوتا أي من الحبوب المقتاتة ونحوها، لأنه مما تعم الحاجة إليه أما الآدام والحلواء والعسل والزيت وأعلاف البهائم، فليس فيها احتكار محرم.

[3] أن يضيق على الناس بشرائه بأمرين:

أحدهما: **بأن يكون في بلد يضيق بأهله الاحتكار كالحرمين والثغور، أما البلاد الواسعة الكثيرة المرافق والجلب كبغداد ودمشق ومصر فلا يحرم فيها الاحتكار لأن ذلك لا يؤثر فيها غالبا.**

والثاني: **أن يكون في حال الضيق بأن يدخل البلد قافلة، فيبادر ذوو الأموال لشرائها ويضيقون على الناس، وعلى هذا فلا فرق بين البلد الصغير والكبير، أما الشراء في حال الاتساع والرخص على وجه لا يضيق على أحد فليس بمحرم**[2].

الأصل في تحريم الاحتكار النصوص الشرعية الآتية:

---

4 **المهذب للشيرازي 292/1.**

5 **رواه أحمد وابن أبي شيبة والبزاز أبو يعلى الموصلي والحاكم والدار قطني والطبراني وأبو نعيم عن ابن عمر. انظر نصب الراية 263/4 نيل الأوطار للشوكاني 221/5 وانظر الفقه الإسلامي وأدلته 584/3.**

1

2 **المغني لابن قدامة 244/4 وما بعدها.**

[1] **عن سعيد بن المسيب عن معمر بن عبد الله العدوي أن النبي ﷺ قال: (**لا يحتكر إلا خاطئ**)**[1].

[2] **عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: (**من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم، كان حقا على الله أن يقعده بعظم[2] من النار يوم القيامة**)**[3].

[3] **وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (**الجالب مرزوق والمحتكر ملعون**)**[4].

[4] **ما روى أن عمر ـ رضي الله عنه ـ خرج مع أصحابه فرأى طعاما كثيرا قد ألقي على باب مكة فقال: ما هذا الطعام؟ فقالوا: جلب إلينا فقال: بارك الله فيه وفيمن جلبه، فقيل له: إنه قد احتكر، قال: ومن احتكره؟ قالوا: فلان مولى عثمان وفلان مولاك، فأرسل إليهما فقال: ما حملكما على احتكار طعام المسلمين؟ فقالا: ألا نشتري بأموالنا ونبيع؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من احتكر على المسلمين طعامهم لم يمت حتى يضربه الله بالجذام أو الإفلاس**)**.

قال الراوي فأما مولى عثمان فباعه وقال والله لا احتكره أبدا وأما مولى عمر فلم يبعه فرأيته مجذوما[5].

وما من شك في أن هذه الأحاديث التي سبق وأن تم ذكرها، يصح الاحتجاج بها على تحريم الاحتكار. فقد دل الحديث الأول وهو حديث معمر على أن المحتكر خاطئ والخاطئ هو العاصي المذنب، والعصيان لا يكون إلا في مباشرة فعل محرم، وذلك كان في إفادة عدم جواز الاحتكار.

---

1 رواه أحمد ومسلم وأبو داود والخاطئ: الإثم. من أخطأ خطأ الإمام إذا أثم في فعله. انظر نيل الأوطار 221/5 وسنن ابن ماجة 7/2.

2 أي مكان عظيم من النار.

3 نيل الأوطار 222/5.

4 أخرجه ابن ماجة وابن راهوية والدارمي وعبد بن حميد وأبو يعلى الموصلي والبيهقي عن عمر بن الخطاب انظر الراية 261/4.

5 المغني لابن قدامة 243/4-244.

ودلّ الحديث الثاني وهو حديث معقل بن يسار على أن من حاول حبس السلع، يريد بحبسها رفع أثمانها قد توعده الله بأشد الوعيد وأعظم وهو أن يقعده بعظم أي بمكان عظيم في نار جهنم يوم القيامة.

كما دل الحديث الثالث وهو حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ على أن المحتكر ملعون حيث توعده الله، بالطرد والإبعاد من رحمته.

ودل الحديث الرابع وهو حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على أن المحتكر يضربه الله سبحانه وتعالى بمرض الجذام الخطير، وبالإفلاس المؤدي إلى الفقر.

آراء الفقهاء في تحريم الاحتكار:

اتفق علماء المسلمين على أن الاحتكار حرام أو الكسب به خبيث لا يحل لصاحبه لما فيه من الجشع والطمع وسوء الخلق والتضييق على الناس، ولكنهم اختلفوا في المواد التي يجري فيها الاحتكار المحرم على آراء هي:

الرأي الأول: **إن الاحتكار يجري في قوت الآدمي فقط وإلى هذا الرأي ذهب متقدمو الحنابلة، حيث جاء في الشرط الثاني الذي تم ذكره سابقا من ضمن الشروط الثلاثة التي اشترطتها الحنابلة لتحريم الاحتكار أي أن يكون المشترى قوتا.**

الرأي الثاني: **أن الاحتكار يشمل قوت الآدمي وعلف الحيوان، وهو ما ذهب إليه الشافعية وبعض المالكية والحنفية، خلافا لأبي يوسف وجاء في تبيين الحقائق واحتكار قوت الآدمي والبهيمة في بلد يضر بأهله ـ أي ويكره الاحتكار في القوت في بلد إذا كان يضر بأهله ـ وقيل هو رأي الجمهور.**

الرأي الثالث: **أن الاحتكار يجري في كل شيء من طعام أو غيره وإلى هذا ذهب متأخرو الحنابلة وأبو يوسف، وابن عابدين، والشوكاني، وبعض المالكية، فلا يجوز عندهم الاحتكار في الطعام وغيره من الكتان والقطن وجميع ما يحتاج إليه الإنسان أو كل ما أضر بالناس حبسه، قوتا كان أو لا ولو ثيابا. أو دراهم وقال السبكي من الشافعية إذا كان الاحتكار في وقت قحط، كان في ادخار العسل والسمن**

والسيرج وأمثالها أضرار، فينبغي أن يقضي بتحريمه وإذا لم يكن هناك أضرار، فلا يخلو احتكار الأقوات من كراهة[1].

وجملة القول: **أن النصوص الشرعية التي ذكرتها دلت على تحريم الاحتكار مطلقا سواء أكان المحتكر قوتا لآدمي أو لغيره أو كان غير قوت مما يحتاجه الناس ويتضرر لعدم وجوده في الأسواق نظرا لاحتكاره.**

وقد اشترط كثير من الفقهاء لتحقيق الاحتكار الآثم ثلاثة شروط:

[1] أن يكون الشيء المحتكر فاضلا عن كفايته وكفاية من يعولهم سنة كاملة[2] لأنه يجوز للإنسان أن يدخر حاجة أهله إذ ثبت عن النبي عليه السلام أنه كان يحبس لأهله قوت سنتهم من الطعام إن تسنى ذلك فيحمل فعل الرسول ﷺ على أنه كان يدخر لعياله قوت سنة في حالة الرخص، وانتفاء الضرر بالناس.

[2] أن يكون قد انتظر الوقت الذي تغلو فيه السلع ليبيع بالثمن الفاحش لشدة الحاجة إليه.

[3] أن يكون الاحتكار في الوقت الذي يحتاج الناس فيه إلى المواد المحتكرة من الطعام والثياب ونحوها، فلو كانت هذه المواد لدى عدد من التجار، ولكن لا يحتاج الناس إليها فإن ذلك لا يعد احتكارا حيث لا ضرر يقع بالناس[3].

أضرار الاحتكار:

لقد دعا الإسلام الحنيف إلى التراحم والتعاطف والتواد بين المسلمين، فلا تجد دينا يتحقق في ظله التكافل الاجتماعي بالصورة الكبيرة الواسعة التي نجدها في الإسلام فحسبنا الإشارة إلى ملامح الصورة التي نطالعها في قول النبي ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له

---

1 **نيل الأوطار للشوكاني 222/5.**

2 **ذلك مشروط جوازه بما لا يضر أي في وقت السعة والرخاء، حتى إذا أضر يمنع الناس من احتكار أقواتهم لمدة سنة، حيث جاء في المنتقى 17/5، وما يليها أن المنع من الاشتراء من الأسواق، وأنه إن كان في وقت ضيق الطعام، فلا يجوز بل يشتري ما لا يضيق على المسلمين كقوت أيام أو أشهر وإن كان وقت سعة اشترى قوت سنة.**

3 **فقه السنة سيد سابق 108/3-109.**

سائر الجسد بالسهر والحمى)[1]. **أو الصورة التي نراها في قوله ﷺ:** (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا)[2].

فهاتان الصورتان تكشفان عن مدى ما يصل إليه التعاون والتضامن بين الأفراد الإسلامي للأسف الشديد لا يخلو من أناس قست قلوبهم لا يشعرون بهذه المسؤولية تجاه الأفراد الآخرين، فيدفعهم الطمع والأنانية إلى جمع أنواع من السلع الضرورية، التي يحتاج إليها الناس في حياتهم ليمنعوا التجار الآخرين من شرائها، ويقوموا باحتكارها من أجل تربص الغلاء ليبيعوها بأثمان فاحشة لشدة حاجة الناس إليها، وقد اعتبر الإسلام هذا الاحتكار خطيئة ومعصية.

قال رسول الله ﷺ: (لا يحتكر إلا خاطئ) **ومن الواجب علينا أن نذكر أضرار الاحتكار هذا ونذكر الناس بها وبخاصة فئة التجار، ليتعاونوا أفرادا وجماعات ويعملوا على مكافحتها واستئصال جذورها للقضاء عليها ومن هذه الأضرار ما يلي:**

[1] إن الاحتكار يجعل حياة أفراد المجتمع وبخاصة الفقراء صعبة للغاية، بحيث إذا أراد الفرد شراء حاجياته الضرورية، لا يجدها في السوق وإذا وجدها لم يتمكن من شرائها لغلاء ثمنها فتضيق بالناس سبل العيش وترتفع عليهم تكاليف الحياة.

[2] إن المحتكر مذموم ومنبوذ لأن الناس يكرهونه الأمر الذي يؤدي إلى القطيعة والبغضاء بدل التراحم والتواد.

[3] المحتكر مطرود من رحمة الله ـ تعالى ـ لأن الصلة مقطوعة بينه وبين ربه فينال بذلك إثما عظيما، قال رسول الله ﷺ: (من احتكر حكره يريد أن يغلي بها على المسلمين فقد برئت منه ذمة الله)[3].

[4] الاحتكار يوجد بين الناس خللا في حياتهم المعيشية، ويقسمهم إلى فئتين: فئة تعيش في بذخ وترف والأخرى في ضيق وحرمان وهذا ما يتنافى مع ما دعا إليه الإسلام من الرحمة والتعاون. والتعاون لرفع الظلم بكل صوره وألوانه

---

1 رواه البخاري في كتاب الأدب.
2 رواه البخاري في المظالم وأحمد بن حنبل في مسنده 404/4.
3 بضم الحاء وتسكين الكاف وفتح الراء- اسم من الاحتكار- أخرجه الحاكم.

واجب يشترك فيه المجتمع لأن العقاب المترتب على تركه يقع على الجميع كما يفهم من قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[1].

والإحساس بالمسؤولية قدر مشترك بين جميع الأفراد في المجتمع ومظهر واضح من مظاهر التكافل الاجتماعي، كما يفهم من قوله ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[2].

وبذلك نرى أن كل فرد في المجتمع مسؤول عما يعهد إليه القيام به يستوي بذلك الحاكم والمحكوم والمجتمع ممثلا في الدولة مطالب بأن يأخذ على يد كل من يتهاون في أداء الواجب أو يعبث بحقوق غيره مهما تكن مكانته أو منزلته وإلا تعرض لهلاك أو بلاء عام. كما يفهم من قوله ﷺ: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب)[3].

قضايا رمضانية

إبطال دعوى أن الحائض تصومُ رمضان

حكمُ الإفطارِ في صوم رمضان بسبب امتحانات التوجيهي

أ. د. حسام الدَّين عفانة/جامعة القدس

ليس مستغرباً أن ينتشر هذا القولُ بأنه يجب شرعاً على الحائض أن تصوم رمضان، على ألسنة كثيرٍ من دعاة تجديد الخطاب الديني ممن يسمُّون أنفسهم بالتنويريين أو القرآنيين منكري السنة النبوية، ومن العقلانيين الذين يدعون إلى تحكيم العقل في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة. وكل أولئك المأجورين

---

1 سورة الأنفال آية 25.
2 رواه البخاري ومسلم.
3 رواه أبو داود.

لجهات معادية للإسلام خارجيةٍ أو داخليةٍ،وانظر إلى قول المستشار أحمد عبده ماهر المحامي،الذي يصف نفسه بأنه كاتبٌ إسلامي، وقد كان ضابطاً في المخابرات الحربية برتبة عميد، يقول: "الشعائر توقيفية من الله فلا دخل للسُنّة النبوية بها... لذلك فعلى الحائض والنفساء صيام، لأنه لا يشترط الطهارة لممارسة فريضة الصيام، لا من الحدث الأكبر ولا الأصغر،لكن بناءً على حديثٍ مأفونٍ رواه البخاري تمَّ الحكمُ بترك كل نساء أهل الإسلام صيام رمضان حال الحيض بكل الأجيال وحتى يومنا هذا.

وأنا أردُّ عليهن وعلى الرجال وعلى البخاري الذي ساق لنا هذا الخرف... أذكر لكم ذلك لأطهر نفسي من متابعة فقه الفقهاء، ولأنهى عن منكرهم بشأن وجوب إفطار المرأة الحائض والنفساء بشهر رمضان مع إلزامها بالقضاء في غيره"[1]. ومثله قال الدكتور أحمد عمارة إستشاري الصحة النفسية بالطاقة الحيوية وكذا مقولة القرآني أحمد منصور وغيرهم. إن قول هؤلاء وأمثالهم بهذه المقولات دليلٌ على قبح جهلهم وضلالهم وهو مصداق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويوضع الجهل، فعَن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: (إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتَى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُوا وأضلوا)[2].

وينبغي أن يُعلم أن مقولة وجوب صوم الحائض لرمضان، سبق للخوارج أن قالوها، قال الشوكاني: "والخوارج لا يستحقون المطاولة والمقاولة لا سيما في مثل هذه المقالة الخارقة للإجماع،الساقطة عند جميع المسلمين بلا نزاع، لكنه لما رفع من شأنها بعض المتأخرين لمحبة الإغراب التي جُبل عليها ذكرنا طرفًا من الكلام في المسألة"[3]. إن موقف المسلم المتبع لكلام رب العالمين هو التسليم بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة والامتثال لها ، سواء علم الحكمة منها أو جهلها، كما قال ـ تعالى ـ:

---

1 https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=978555318858877&id= 689400621107683

2 رواه البخاري.

3 نيل الأوطار، 349/1.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [1].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [2].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [3].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [4].

ومن المعلوم بالضرورة في دين الإسلام أن السنة النبوية تشرع أحكاماً لم ترد في القرآن الكريم، فهي المصدر الثاني من مصادر التَّشريع الإسلامي، وقد بين علماء أصول الفقه علاقة السنَّة النبوية بالقُرْآن الكريم.

قال العلامة ابن القيم:"والسنَّة مع القُرْآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقةً له من كل وجهٍ، فيكون توارد القُرْآن والسنَّة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثاني: أن تكون بيانًا لِما أريد بالقُرْآن وتفسيرًا له.

الثالث: أن تكون موجبةً لحكمٍ سكت القُرْآن عن إيجابه، أو محرِّمةً لِما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام"[5].

ودعوى أنه لا بدَّ أن يكون كلُّ حكمٍ في القرآن الكريم، دعوى زائفةٌ باطلةٌ.

---

1 سورة الأحزاب، الآية 36.
2 سورة النور، الآية 51.
3 سورة النساء، الآية 59.
4 سورة الحشر، الآية 7.
5 إعلام الموقعين 220/2.

يقول ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

قال الإمام الشافعي: "نزلت هذه الآية في رجلٍ خاصم الزبيرَ في أرضٍ، فقضى النبيُّ ﷺ وَسَلَّم بها للزبير، وهذا القضاءُ سنَّةٌ من رسول الله، لا حُكمٌ منصوصٌ في القُرْآن"[2]. وإن القرآنيين الذين يزعمون بأن الأحكام لا بدَّ أن تكون في القرآن، إنما هم مكذبون لآيات القرآن، ولو سألتهم أين نجد صفة الصلاة في القرآن الكريم، من حيث عدد ركعاتها وأوقاتها وأركانها وشروطها، لم يحروا جواباً. ولا يتسع المقام لمزيدٍ من التفصيل في هذه القضية.

ومن المقرر عند أهل العلم أن الإسلام هو الاستسلام لله ـ سبحانه وتعالى ـ ولشرعه الذي شرعه في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه ﷺ قال الإمام الطحاوي:"وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ". وقال شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي: "أي لا يثبت إسلام من لم يسلِّم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه".

روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري ـ رحمه الله ـ أنه قال: "من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم". وهذا كلامٌ جامعٌ نافعٌ، وما أحسن المثلَ المضروب للنقل مع العقل، وهو: أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثيرٍ، فإن العامي يمكنه أن يصير عالماً، ولا يمكن للعالم أن يصير نبياً رسولاً، فإذا عرف العامي المقلد عالماً فدل عليه عامياً آخر، ثم اختلف المفتي والدال، فإن المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي دون الدال، فلو قال الدال: الصواب معي دون المفتي، لأني أنا الأصل في علمك بأنه مفتٍ، فإذا قدمت قوله على قولي قدحت في الأصل الذي به عرفت أنه مفتٍ، فلزم القدح في فرعه! فيقول له المستفتي: أنت لمَّا شهدت له بأنه مفت ودللت عليه شهدت له بوجوب تقليده دونك، فموافقتي لك في هذا العلم المعين لا يستلزم موافقتك في كل مسألة، وخطؤك فيما خالفت فيه المفتي الذي هو أعلم منك، لا يستلزم خطأك في علمك بأنه مفتٍ، هذا مع

---

1 سورة النساء، الآية 65.
2 مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص 31.

علمه أن ذلك المُفتي قد يخطئ، والعقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله ـ تعالى ـ لا يجوز عليه الخطأ، فيجب عليه التسليم له، والانقياد لأمره"[1].

وقال الشيخ محمد المنجد ـ فرّج الله كربه ـ: "ما معنى الإسلام؟ هو الاستسلام لله، ومن ذلك أن الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة، لماذا تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة؟ هكذا جاء الشرع المطهر، ولكنك لو تبصرت بالعقل الصريح لوجدت أن النقل الصحيح يوافق العقل الصريح، وأنه يشق عليها أن تقضي هذه الصلوات الطويلة في وقت حيضها، لكنها تصوم أيام العادة المعدودة "لو كان الدين بالرأي لكان مسح باطن الخف أولى من ظاهرها" كما قال علي ـ رضي الله عنه ـ[2].

وردت الأدلة من السنة النبوية على أن الحائض لا تصوم، بل يلزمها أن تفطر وتقضي بعد ذلك. فعن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن)، **قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:** (أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟) **قُلْنَ: بَلَى، قَالَ:** (فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟) **قُلْنَ: بَلَى، قَالَ:** (فذلك من نقصان دينها)[3].

وفي رواية عند مسلم من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: (وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين). **قال الشوكاني:"والحديث يدل على عدم وجوب الصوم والصلاة على الحائض حال حيضها وهو إجماع"[4].**

وعَنْ مُعَاذَةَ قَالَتْ: "سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْحَائِضِ، تَقْضِي الصَّوْمَ، وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ وَلَكِنِّي أَسْأَلُ، قَالَتْ: كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ"[5].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "يقال لمن يعتقد مذهب الخوارج حروريٌ، لأن أول فرقة منهم خرجوا على علي ـ رضي الله عنه ـ بالبلدة المذكورة، فاشتهروا بالنسبة إليها، وهم فرقٌ كثيرةٌ، لكن من أصولهم المتفق عليها بينهم الأخذُ بما دلَّ

---

1 شرح العقيدة الطحاوية، ص 231.

2 https://almunajjid.com/6349

3 رواه البخاري.

4 نيل الأوطار 348/1.

5 رواه البخاري ومسلم.

عليه القرآن، وردُّ ما زاد عليه من الحديث مطلقاً، ولهذا استفهمت عائشة معاذة استفهام إنكار"[1].

وقال ابن دقيق العيد: "الحروري من ينسب إلى حرواء وهو موضع بظاهر الكوفة اجتمع فيه أوائل الخوارج ثم كثرُ استعماله حتى استعمل في كل خارجيٍ، ومنه قول عائشة لمعاذة: [أحرورية أنت؟] أي أخارجية، وإنما قالت ذلك لأن مذهب الخوارج أن الحائض تقضي الصلاة، وإنما ذكرت ذلك أيضا لأن معاذة أوردت السؤال على غير جهة السؤال المجرد، بل صيغتها قد تشعر بتعجبٍ أو إنكارٍ، فقالت لها عائشة:[أحرورية أنت] فأجابتها بأن قالت لا، ولكني أسأل، أي أسأل سؤالاً مجرداً عن الإنكار والتعجب، بل لطلب مجرد العلم بالحكم، فأجابتها عائشة بالنص"[2].

وروى الترمذي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: "كنا نَحِيضُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَطْهُرُ فَيَأْمُرُنَا بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا يَأْمُرُنَا بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ" قال الترمذي: "هذا حديثٌ حسنٌ. والعمل على هذا عند أهل العلم، لا نعلم بينهم اختلافاً إن الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة"[3]. قال الحافظ ابن عبد البر: "وهذا إجماع أن الحائض لا تصوم في أيام حيضتها، وتقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، لا خلاف في شيءٍ من ذلك والحمد لله، وما أجمع المسلمون عليه فهو الحقُّ والخبرُ القاطع للعذر، وقال الله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

والمؤمنون هنا الإجماع"[4].

وقال الإمام النووي:"هَذَا الْحُكْم مُتَّفَق عَلَيْهِ أَجْمَع الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْحَائِض وَالنُّفَسَاء لا تَجِب عَلَيْهِمَا الصَّلاة وَلا الصَّوْم فِي الْحَال، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لا يَجِب عَلَيْهِمَا قَضَاء الصَّلاة، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ يَجِب عَلَيْهِمَا قَضَاء الصَّوْم. قَالَ الْعُلَمَاء:

1 فتح الباري 422/1.
2 إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام 90/1.
3 سنن الترمذي 418/1.
4 التمهيد 107/22.

"وَالْفَرْق بَيْنهمَا أَنَّ الصَّلاة كَثِيرَة مُتَكَرِّرَة فَيَشُقّ قَضَاؤُهَا بِخِلَافِ الصَّوْم، فَإِنَّهُ يَجِب فِي السَّنَة مَرَّة وَاحِدَة وَرُبَّمَا كَانَ الْحَيْض يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ"[1].

وقال الإمام النووي أيضاً: "أجمعت الأمةُ على تحريم الصوم على الحائض والنفساء، وعلى أنه لا يصح صومها، كما قدمنا نقله عن ابن جرير، وكذا نقل الإجماع غيرهُ، قال إمام الحرمين: "وكون الصوم لا يصح منها لا يدرك معناه، فإن الطهارة ليست مشروطة فيها، وأجمعت الأمة أيضاً على وجوب قضاء صوم رمضان عليها، نقل الإجماع فيه الترمذي وابن المنذر وابن جرير وأصحابنا وغيرهم"[2].

وقال الشيخ ابن قدامة المقدسي: "أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْحَائِضَ وَالنُّفَسَاءَ لا يَحِلُّ لَهُمَا الصَّوْمُ، وَأَنَّهُمَا يُفْطِرَانِ رَمَضَانَ وَيَقْضِيَانِ، وَأَنَّهُمَا إذَا صَامَتَا لَمْ يُجْزِئْهُمَا الصَّوْمُ"[3]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ثَبَتَ بِالسُّنَّةِ وَاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ دَمَ الْحَيْضِ يُنَافِي الصَّوْمَ فَلا تَصُومُ الْحَائِضُ لَكِنْ تَقْضِي الصِّيَامَ"[4].

ومن هذه النقول عن العلماء يظهر لنا أن هذا الحكم ثابتٌ عن النبي ﷺ وهو محلُّ إجماع علماء الأمة، إلا من شذَّ، والشاذُّ لا عبرة به، وأما الحرورية الجدد من شذاذ الآفاق، فلا تلتفتوا لشذوذهم، وعليكم باتباع سبل المؤمنين. ودليل هذا الإجماع حديث معاذة السابق قالت: "سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ قَالَتْ: كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ ، وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ"[5]. ومن المعلوم أن الحائض ومثلها النفساء لها أحكامٌ خاصةٌ في الفقه الإسلامي، فالحائض لا تصلي، قال ابن المنذر: "أجمع أهل العلم على إسقاط فرض الصّلاة عنها في أيّام حيضها لقول النّبيّ ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش: (إذا أقبلت الحيضة فدعي الصّلاة)[6]. والحائض لا تصوم ولا يصح صومها، ولو صامت فصومها باطلٌ شرعاً. ولا تمسُّ المصحف، ولا تطوف بالكعبة حتى تطهر، ولا تلبث في المسجد، والحائض لا يجامعها زوجها[7]. اختلف العلماء في الحكمة من منع

---

1 شرح النووي على صحيح مسلم 26/4.
2 المجموع 386/2.
3 المغني 39/3.
4 مجموع الفتاوى 219/25.
5 وهو حديث صحيح.
6 رواه البخاري ومسلم.
7 انظر الموسوعة الفقهية الكويتية 312/18 فما بعدها.

الحائض من الصوم، فقال بعض العلماء: الحكمة غير معلومة لنا، قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ الجويني: "وَكَوْنُ الصَّوْمِ لا يَصِحُّ مِنْهَا لا يُدْرَكُ مَعْنَاهُ فَإِنَّ الطَّهَارَةَ لَيْسَتْ مَشْرُوطَةً فِيهَا"[1]. وقال بعض العلماء المتقدمين وبعض الأطباء المعاصرين: إن الحكمة في ذلك دفعُ الضرر والأذى عن الحائض.

قال الشيخ سليمان البُجَيْرَمِيّ الشافعي: "قوله: [لا يدرك معناه] والصحيح أنه أمرٌ معقولُ المعنى، وذلك لأن الحيض يضعف البدن، والصوم يضعفه، واجتماع مضعفين يُضر ضررًا شديدًا، والشارعُ ناظرٌ لحفظ الأبدان"[2].

وسواء أدركنا الحكمة من منع الحائض من الصوم وإلزامها بالقضاء أو لم ندرك، فنقول سمعنا وأطعنا، وما أحسن ما قال العلامة ابن القيم: "وأما إيجاب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة: فمن تمام محاسن الشريعة وحكمتها ورعايتها لمصالح المكلفين؛ فإن الحيض لما كان منافيًا للعبادة لم يشرع فيه فعلها، وكان في صلاتها أيام الطهر ما يغنيها عن صلاة أيام الحيض، فيحصل لها مصلحة الصلاة في زمن الطهر؛ لتكررها كل يوم، بخلاف الصوم فإنه لا يتكرر، وهو شهرٌ واحدٌ في العام، فلو سقط عنها فعله بالحيض لم يكن لها سبيلٌ إلى تدارك نظيره، وفاتت عليها مصلحته، فوجب عليها أن تصوم شهرًا في طهرها؛ لتحصل مصلحة الصوم التي هي من تمام رحمة الله بعبده، وإحسانه إليه بشرعه وبالله التوفيق"[3].

حكمُ الإفطار في صوم رمضان بسبب امتحانات التوجيهي

من المعلوم أن صوم رمضان ركنٌ من أركان الإسلام، قال ـ تعالى ـ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]. وقوله ـ تعالى ـ:[كتب عليكم]:أي فُرِضَ.

---

1 المجموع 2/ 386.
2 حاشية البُجَيْرَمِيّ على الخطيب 382/2.
3 إعلام الموقعين 46/2.
4 سورة البقرة، الآية 183.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[1].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (بني الإسلام على خمْس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزكاة، والحجّ، وصوم رمضان)[2]. وأجمعت الأمّة على أنّ صوم شهر رمضان فرضٌ، لا يجحدهُ إلاّ كافر.

والصيام فريضة على كل مكلف شرعاً، وهو المسلم البالغ العاقل الخالي من الأعذار المبيحة للفطر كما سيأتي. وقد تقرر عند العلماء أن من ترك صوم رمضان لغير عذرٍ، فقد ترك ركناً من أركان الإسلام، ووقع في كبيرةٍ عظيمةٍ من كبائر الذنوب. قال الإمام الذهبي: "وعند المؤمنين مقررٌ أن من ترك صوم رمضان بلا مرضٍ ولا غرض ـ أي بلا عذرٍ يبيحُ الفطرَ ـ أنه شرٌ من الزاني ومدمنِ الخمر، بل يشكون في إسلامه، ويظنون به الزندقةَ والانحلالَ"[3].

وقد ورد في الحديث من الوعيد لمن أفطر في رمضان، عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعيّ فأتَيا بِي جبلا وعرا فقالا لي: اصْعد فقلت: إني لا أطيقه، فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتَى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأَصوات شديدة فقلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثمّ انطلق بِي فإذا أنا بقوم معلقين بِعراقيبِهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دما، قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الَذين يفطرون قبل تحلَة صومهم)[4].

وقد سئل الشيخ العثيمين عن حكم الفطر في نهار رمضان بدون عذرٍ، فأجاب: "الفطر في نهار رمضان بدون عذر من أكبر الكبائر، ويكون به الإنسان فاسقاً، ويجب عليه أن يتوب إلى الله، وأن يقضي ذلك اليوم الذي أفطره، يعني لو أنه صام وفي أثناء اليوم أفطر بدون عذرٍ فعليه الإثمُ، وأن يقضي ذلك اليوم الذي أفطره؛ لأنه

---

1 سورة البقرة، الآية 185.
2 رواه البخاري ومسلم.
3 الكبائر، ص 64.
4 رواه ابنُ خزيمة وابنُ حبَّان والحاكمُ وصححه والذهبي، وصحَّحه أيضاً العلامة الألبانيُّ في السلسلة الصحيحة.

لما شرع فيه التزم به ودخل فيه على أنه فرضٌ، فيلزمه قضاؤه كالنذر، أما لو ترك الصوم من الأصل متعمداً بلا عذر، فالراجح: أنه لا يلزمه القضاء؛ لأنه لا يستفيد به شيئاً، إذ إنه لن يقبل منه، فإن القاعدة أن كل عبادةٍ مؤقتةٍ بوقت معينٍ فإنها إذا أُخرت عن ذلك الوقت المعين بلا عذرٍ لم تُقبل من صاحبها لقول النبي ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ) ولأنه مِن تعدي حدود الله ـ عز وجل ـ وتعدّي حدود الله ـ تعالى ـ ظلمٌ، والظالمُ لا يقبل منه.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

ولأنه لو قدَّم هذه العبادة على وقتها ـ أي فعلها قبل دخول الوقت ـ لم تُقبل منه، فكذلك إذا فعلها بعده لم تُقبل منه إلا أن يكون معذوراً"[1].

وذكر العلماء أن الحكمة الأولى لصوم رمضان هي تحقيقُ التقوى في حياة المسلم [لعلكم تتّقون] فالصيامُ وسيلةٌ لتحقيق التقوى في نفس المسلم، والتقوى هي فعلُ ما أمر الله ـ تعالى ـ به، وترك ما نهى عنه.

وللصوم حِكَمٌ أخرى، يقول الكمال ابن الهمام الحنفي عن الصوم: "هذا ثالث أركان الإسلام بعد لا إله إلا الله محمد رسول الله، شرعه سبحانه لفوائد أعظمها كونه موجباً شيئين: أحدهما عن الآخر سكون النفس الأمارة، وكسر سورتها في الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج، فإن به تضعف حركتها في محسوساتها، ولذا قيل: إذا جاعت النفس شبعت جميع الأعضاء وإذا شبعت جاعت كلها، وما عن هذا صفاء القلب من الكدر، فإن الموجب لكدوراته فضول اللسان والعين وباقيها، وبصفائه تناط المصالح والدرجات، ومنها: كونه موجباً للرحمة والعطف على المساكين، فإنه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات ذكر من هذا في عموم الأوقات فتسارع إليه الرقة عليه، والرحمة حقيقتها في حق الإنسان نوع ألمٍ باطنٍ فيسارع لدفعه عنه بالإحسان إليه فينال ما عند الله ـ تعالى ـ من حسن الجزاء. ومنها موافقة الفقراء بتحمل ما يتحملون أحياناً وفي ذلك رفع حاله عند الله ـ تعالى ـ"[2]. ويقول العلامة ابن القيم: "لما كان المقصود من الصيام

---

1 مجموع فتاوى الشيخ العثيمين 19 السؤال رقم 45.
2 فتح القدير 233/2.

حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضييق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه، وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال... وللصوم تأثيرٌ عجيبٌ في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى كما قال ـ تعالى ـ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

وقال النبي ﷺ: (الصومُ جُنَة) وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه بالصيام وجعله وجاءَ هذه الشهوة. والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة شرعه الله لعباده رحمةً بهم وإحساناً إليهم وحميةً لهم وجنة"[1]. وذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي: "سئل بعض السلف: لِمَ شُرِع الصيام؟ فقال: ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع"[2]. ومن المعلوم أن صِيَام رَمَضَانَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ شرعاً، وهو المسلم البالغ العاقل الخالي من الأعذار المبيحة للفطر، وأصحاب الأعذار على وجه الإجمال هم: المسافر والمريض والمرأة المرضع والحامل والهرم أي الكبير في السن، والمكره على الفطر، والحائض والنفساء.

---

1 زاد المعاد، 2/28 - 30.
2 لطائف المعارف، 2 314.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[1].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لما سئلت عن قضاء الحائض الصيام دون الصلاة، قَالَتْ: "كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصيام، وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ"[2]. إذا تقرر هذا فإن الدراسة للامتحانات ليست من الأعذار التي تبيح الفطر، والامتحانات شيئٌ عادي في حياة الطلبة، ولا يصح أن نجعل حولها هالةً تُضخمها وتُعطيها أكبرَ من حجمها، كما هو حالُ كثيرين من الناس!. والمشقة الموجودة في الامتحانات، مشقةٌ عاديةٌ مُحتَملةٌ، بخلاف المشقة التي تلحق الذين أجاز لهم الشارع الحكيم الفطر، فيستطيع الطالب أن يُكيف دراسته للامتحان في رمضان، بأن يجعلها في الليل وبعد السحور، فينبغي للطالب أن يتسحر سحوراً جيداً، ثم يصلي الفجر، ثم يذاكر امتحانه، وبعد أن يمتَحن يعود إلى بيته فينام ويرتاح، ومعلوم أن الامتحانات تنتهي غالباً قبل الظهر، فليس هنالك تلك المشقة التي يُعظمها بعض أولياء أمور الطلبة، وما هذا إلا دلعٌ في غير محله. ولو فرضنا أن طالباً لحقته مشقةٌ شديدةٌ بأن غلبه الجوعُ أو العطشُ أو التعبُ حتى خاف على نفسه الضررَ الشديد، ولم يطق الصوم، فله أن يفطر يومه ذاك، لأنه صار معذوراً شرعاً ويلزمه قضاؤه بعد انتهاء رمضان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[5].

وينبغي التنبيه إلى أن الواجب على الطالب أن يصوم يوم الامتحان ويذهب إلى الامتحان صائماً، فإذا طرأ عليه ما يبيح له الفطر أفطر حينئذ فقط. وعلى أولياء أمور

---

1 سورة البقرة، الآية 184.
2 رواه البخاري ومسلم.
3 سورة النساء، الآية 29.
4 سورة البقرة، الآية 286.
5 سورة الحج، الآية 78.

الطلبة أن يغرسوا في نفوس أبنائهم علو الهمة، ويبعدوهم عن الوهن والضعف والخور، وليعلموا أن طاعة الله ـ عز وجل ـ ومنها صوم رمضان، من أعظم أسباب التوفيق والنجاح في الدنيا، وأن معصية الله، ومنها الفطر بدون عذرٍ، من أعظم أسباب الخذلان والفشل والرسوب في الامتحان. وينبغي التنبيه إلى تساهل بعض المفتين في إباحة الفطر للطلبة بسبب الامتحانات، فقد صدرت بعض الفتاوى التي تفتح الباب واسعاً للفطر في صوم رمضان بسبب الامتحانات، ولا يجوز إصدار فتوى عامة تجعل الامتحانات عذراً من أعذار الفطر، أو تجعل مناط الحكم بالفطر غلبة ظن الطالب أنه سيرسب في الامتحان أو يضعف مستواه الدراسي، أو أن صحته ستضعف، فهذه أعذار موهومة ، لا تبيح الفطر، بل يجب أن يكون عذر الفطر حقيقياً لا متوهماً.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة جواباً على السؤال التالي: هل الامتحان عذرٌ يبيح الإفطار في رمضان؟ لأنه انتشرت عندنا بعض الفتاوى بإباحة الفطر في رمضان لمن خاف شرود ذهنه وعدم تركيزه، وهل يجوز طاعة الوالدين في الفطر لسماعهم هذه الفتاوى التي تجيز الفطر؟ فأجابت اللجنة: [الامتحان المدرسي ونحوه لا يعتبر عذراً مبيحاً للإفطار في نهار رمضان، ولا يجوز طاعة الوالدين في الإفطار للامتحان، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإنما الطاعة بالمعروف، كما جاء بذلك الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم**]**[1].

وقال الشيخ العلامة ابن باز: "لا يجوز للمكلف الإفطار في رمضان من أجل الامتحان؛ لأن ذلك ليس من الأعذار الشرعية؛ بل يجب عليه الصوم، وجعل المذاكرة في الليل إذا شقَّ عليه فعلها في النهار، وينبغي لولاة أمر الامتحان أن يرفقوا بالطلبة، وأن يجعلوا الامتحان في غير رمضان جمعاً بين مصلحتين: مصلحة الصيام والتفرغ للإعداد للامتحان، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه**)، فوصيتي للمسؤولين عن الامتحان أن يرفقوا بالطلبة والطالبات، وألا يجعلوه في رمضان بل قبله أو بعده"[2].**

---

1 فتاوى اللجنة الدائمة 240/10.

2 فتاوى الشيخ ابن باز 223/4.

علاج قطيعة الرحم
وآدابها وفضائلها

إعداد وتلخيص: د. إسماعيل نواهضة
خطيب المسجد الأقصى المبارك ـ العميد الأسبق لكليتي القرآن والدعوة/جامعة القدس

تحدثت في حلقة سابقة عن قطيعة الرحم وأبرز أسبابها، وفي هذه الحلقة سأتحدث عن علاج هذه الظاهرة السلبية في مجتمعاتنا، من خلال تتبع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ونهج السلف الصالح؛ لأن بقاء وانتشار هذه الظاهرة دون علاج ودون الحدّ منها من شأنه أن يحول المجتمع الإنساني إلى مجتمع حيواني، ومن مجتمع متآلف إلى مجتمع متخاصم.

فإذا كان الأمر كذلك فما أجدر العاقل أن يحذر قطيعة الرحم، وأن يتجنب الأسباب الداعية إليها، وما أحرى به أن يصل الرحم، وأن يعرف عظيم شأن الرحم، ويتحرى أسباب وصلها، ويرعى الآداب التي ينبغي مراعتها مع الأقارب.

فما هي صلة الرحم؟ وبأي شيء تكون؟ وما فضائلها؟ وما الآداب التي ينبغي مراعاتها مع الأقارب؟.

وأبدأ بتعريف صلة الرحم؟ قال ابن منظور ـ رحمه الله ـ: "وصلت الشيء وصلا وصلة، والوصل ضد الهجران"[1].

وقال: "ويقال: وصل فلان رحمه يصلها صلة وبينهما وصلة: أي اتصال وذريعة"[2].

وقال: "التواصل ضد التصارم"[1] وقال: عن صلة الرحم: "قال ابن الأثير: وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والعطف عليهم،

---

1 لسان العرب لابن منظور. 726/11.
2 المصدر السابق: 726/11.

والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا وأساءوا، وقطع الرحم ضد ذلك كله"[2].

بأي شيء تكون صلة الرحم؟

تكون وتتحقق صلة الرحم بأمور عديدة؛ فتكون بزيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، والإهداء إليهم، وإنزالهم منازلهم، والتصدق على فقيرهم، والتلطف مع غنيهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم وضعيفهم، وتعاهدهم بكثرة السؤال والزيارة ـ كما مر ـ إما أن يأتي الإنسان إليهم بنفسه، أو يصلهم عبر الرسالة، أو المكالمة الهاتفية.أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

وتكون باستضافتهم، وحسن استقبالهم، وإعزازهم، وإعلاء شأنهم، وصلة القاطع منهم.

وتكون ـ أيضا ـ بمشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أتراحهم، وتكون بالدعاء لهم، وسلامة الصدر نحوهم، وإصلاح ذات البين إذا فسدت بينهم، والحرص على توطيد العلاقة وتثبيت دعائمها معهم. وتكون بعيادة مرضاهم، وإجابة دعوتهم.

وأعظم ما تكون به الصلة، أن يحرص المرء على دعوتهم إلى الهدى، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. وهذه الصلة تستمر إذا كانت الرحم صالحة مستقيمة أو مستورة. أما إذا كانت الرحم سافرة أو فاسقة فتكون صلتهم بالعظة والتذكير، وبذل الجهد في ذلك.

فإن أعيته الحيلة في هدايتهم ـ كأن يرى منهم إعراضاً أو عناداً أو استكباراً أو أن يخاف على نفسه أن يتردى معهم ويهوي في حضيضهم ـ فليناً عنهم وليهجرهم الهجر الجميل، الذي لا أذى فيه بوجه من الوجوه، وليكثر من الدعاء لهم بظهر الغيب، لعل الله أن يهديهم ببركة دعائه، وليعد الكرة بعد الكرة.

ومما يحسن ذكره في دعوة الأقارب، ونصحهم أن ينبه على مسألة مهمة في هذا الباب، ألا وهي إحسان التعامل مع الأقارب، والحرص على دعوتهم باللين، والحكمة، والموعظة الحسنة، وألا يدخل معهم في جدال إلاّ في أضيق الحدود وبالتي

---

1 المصدر السابق: 728/11.
2 لسان العرب لابن منظور: 728/11

هي أحسن؛ لأنه يلحظ على كثير من الدعاة قلة تأثيرهم في أسرهم وقبائلهم. وذلك يرجع إلى عدة أسباب، ومنها أن الدعاة أنفسهم لا يولون هذا الجانب اهتمامهم، ولو بحثوا في السبل المثلى التي تعين على ذلك لأفلحوا في دعوة أقاربهم ولأثرّوا فيهم أيما تأثير.

ولعل من أهم تلك السبل أن يتواضعوا لأقاربهم، وأن يولوهم شيئا من الاهتمام، والصلة، والاعتبار، ونحو ذلك مما يحببهم بالأقارب، ويحبب الأقارب بهم. كما أن على الأسرة أو القبيلة أن ترفع من شأن دعاتها، وعلمائها، وأن تجلّهم، وتسمع لهم، وأن تحذر كل الحذر من تحقيرهم، والحط من شأنهم. فإذا سارت الأسر على هذا النحو كان حرياً بهم أن يرتقوا في مدارج الكمال، ومراتب الفضيلة.

فضائل صلة الرحم:

أما فضائل صلة الرحم فحدّث عنها ولا حرج؛ ففضائلها كثيرة، وعوائدها عظيمة، وهذه الفضائل تنتظم خيري الدنيا والآخرة، ونصوص الكتاب والسنة في ذلك متظاهرة، وكذلك أقوال العلماء والحكماء، فمن تلك الفضائل ما يلي:

[1] صلة الرحم شعار الإيمان بالله واليوم الآخر: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه)[1].

[2] صلة الرحم سبب لزيادة العمر وبسط الرزق: فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه)[2].

ومما قاله العلماء في معنى زيادة العمر، وبسط الرزق الواردين في الحديث ما يلي:

---

1 صحيح البخاري رقم: 6138.
2 صحيح البخاري رقم:5986. وصحيح مسلم رقم: 2557.

(أ) أن المقصود بالزيادة أن يبارك الله في عمر الإنسان الواصل، ويهبه قوة في الجسم، ورجاحة في العقل، ومضاء في العزيمة، فتكون حياته حافلة بجلائل الأعمال.

(ب) أن الزيادة على حقيقتها؛ فالذي يصل رحمه يزيد الله في عمره، ويوسع له في رزقه.

ولا شك في ذلك؛ فكما أن الصحة وطيب الهواء، وطيب الغذاء، واستعمال الأمور المقوية للأبدان والقلوب من أسباب طول العمر، فكذلك صلة الرحم جعلها الله سبباً ربانياً؛ فإن الأسباب التي تحصل بها المحبوبات الدنيوية قسمان: أمور محسوسة تدخل في إدراك الحواس، ومدارك العقول. وأمور ربانية إلهية قدّرها من هو على كل شيء قدير، ومن جميع الأسباب وأمور العالم منقادة لمشيئته"[1] وقد يشكل هذا الأمر على بعض الناس فيقول: إذا كانت الأرزاق مكتوبة، والآجال مضروبة لا تزيد ولا تنقص، كما في قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2].

فكيف نوّفق بين ذلك وبين الحديث السابق.

والجواب: أن القدر قدران:

أحدهما: مثبت، أو مبرم، أو مطلق، وهو ما في أم الكتاب ـ اللوح المحفوظ ـ فهذا لا يتبدل ولا يتغير.

والثاني: القدر المعلق، أو المقيد، وهو ما في صحف الملائكة، فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات.

قال شيخ الإسلام ـ ابن تيمية رحمه الله تعالى ـ: "والأجل أجلان: مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: (من سرّه أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه).

---

1 بهجة القلوب. الأبرار للشيخ ابن سعدي. ص: 74-75.
2 سورة الأعراف آية: 34.

فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً، وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزداد أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر[1]. وقال في موطن آخر عندما سئل عن الرزق: هل يزيد أو ينقص؟ فأجاب: الرزق نوعان:

أحدهما: ما علمه الله أن يرزقه، فهذا لا يتغير.

والثاني: ما كتبه، وأعلم به الملائكة فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب[2].

ثم إن: "الأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدّره الله وكتبه؛ فإن كان قد تقدم بأن يرزق العبد بسعيه واكتسابه ألهمه السعي والاكتساب، وذلك الذي قدّره له بالاكتساب لا يحصل بدون الاكتساب، وما قدّره له بغير اكتساب ـ كموت مورثه ـ يأتيه بغير اكتساب"[3]. "فلا مخالفة في ذلك لسبق العلم، بل فيه تقييد المسببات بأسبابها، كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب، وقدّر الولد بالوطء، وقدر حصول الزرع بالبذر، فهل يقول عاقل بأن ربط المسببات بأسبابها يقتضي خلاف العلم السابق، أو ينافيه بوجه من الوجوه"[4].

[3] صلة الرحم تجلب صلة الله للواصل: قال رسول الله ﷺ: (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؛ قالت: بلى، قال: فذلك لك)[5].

[4] صلة الرحم من أعظم أسباب دخول الجنة: فعن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا قال: يا رسول الله "أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني

---

1 مجموع الفتاوى لابن تيمية . 540/8.
2 المصدر السابق: 540/8. وانظر تفصيل الأقوال السابقة في شرح النووي لصحيح مسلم: 41/16.
3 مجموع الفتاوى لابن تيمية: 540/8-541.
4 تنبيه الأفاضل للإمام الشوكاني. ص:32
5 صحيح البخاري رقم: 5987. صحيح مسلم رقم: 2554.

من النار، فقال النبي ﷺ: (تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم)[1].

[5] صلة الرحم طاعة لله ـ عز وجل ـ: فهي وصل لما أمر الله به أن يوصل.

قال ـ تعالى ـ مثنياً على الواصلين: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[2].

[6] وهي من محاسن الدين: فالإسلام دين الصلة، ودين البر والرحمة، فهو يأمر بالصلة، وينهى عن القطيعة، مما يجعل جماعة المسلمين مترابطة، متآلفة، متراحمة، بخلاف الأنظمة الأرضية التي لا ترعى ذلك الحق، ولا توليه اهتمامها.

[7] وهى مما اتفقت عليه الشرائع: فالشرائع السماوية كلها أمرت بالصلة، وحذرت من قطعها، وهذا يدل على فضلها، وعظم شأنها.

[8] صلة الرحم مدعاة للذكر الجميل: فهي مكسبة للحمد، مجلبة للثناء الحسن.

[9] أنها تدل على الرسوخ في الفضيلة: فهي دليل كرم النفس، وسعة الأفق، وطيب المنبت، وحسن الوفاء، وصدق المعشر. ولهذا قيل: "من لم يصلح لأهله لم يصلح لك، ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك"[3].

[10] شيوع المحبة بين الأقارب: فبسببها تشيع المحبة، وتسود الألفة، ويصبح الأقارب لحمة واحدة، وبهذا يصفو عيشهم، وتكثر مسراتهم.

[11] رفعة الواصل: فإن الإنسان إذا وصل أرحامه، وحرص على إعزازهم، أكرمه أرحامه، وأعزوه، وأجلوه، وسودوه، وكانوا عونا له[4].

ولم أر عزما لامرئ كعشيرة ولم أر ذلا مثل نأي عن الأهل[5]

---

1 صحيح البخاري رقم: 1396. صحيح مسلم رقم: 13

2 سورة الرعد آية:21.

3 أدب الدنيا والدين للماوردي. ص: 153.

4 الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني. 2/34. الأدب النبوي للخولي. ص: 114-115.

5 عيون الأخبار لابن قتيبة. 3/91.

[12] عزة المتواصلين: فالأرحام المتواصلون، المتوادون المتآلفون يعلو قدرهم، ويرتفع ذكرهم، فيكون لهم شأن، ويحسب لهم ألف حساب، فلا يتجرأ أحد أن ينال منهم، أو أن يمسهم بلفحة من نار ظلم؛ فيظلون بأعز جوار، وأمنع ذمار. بخلاف ما إذا تقاطعوا، وتدابروا؛ فإنهم يذلون ويسترذلون، فيلقون هوانا بعد عز، وضعة بعد رفعة، ونزولا بعد شمم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

في مدرسة الصيام

د: خالد الغزاوي

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

أخي القارئ الكريم:

أقبل رمضان؛ شهر عظيم مبارك، جعل الله ـ تعالى ـ صيامه فريضة محكمة، وركنا من أركان الدين، وأكرمنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ بنزول القرآن فيه، فقد ورد في الحديث الشريف أنه ﷺ قال: (نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان)[2]. **فهنيئا لنا أهل بيت**

---

1 سورة البقرة، الآية 183.

2 رواه أحمد في المسند.

المقدس وأهل فلسطين؛ هنيئا لكل المرابطين في هذا البلد الصامد المرابط، وهنيئا لأمة الإسلام في كل مكان في هذا العالم.

والحق يقال بأن شهر رمضان محطة قرآنية، وموسم إيماني يمسح الحُزن والبلاء عن هذه الأمة التي أبتليت بأعداء هذا الدين في الداخل والخارج، حتى أصبح المسلم غريبا في وطنه، ونقل أعداؤه ميدان المعركة لتكون فوق أرضه، وبأيدي بعضهم البعض، فما تكاد ترى بلداً إسلاميا أو عربيا إلا وتكاد الفتن والحروب والنزاعات تقضي عليه، فضلا عن ما تعانيه هذه الأمة من بلاء التخلّف والجهل والمرض والعجز والبطالة والديون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. في هذا الجو المشحون بالمصائب والكوارث والنكبات.

يأتينا شهر رمضان محطة إيمانية تُرجع المسلمين في هذا الزمن إلى صوابهم وإلى قرآنهم وإلى تاريخهم العزيز المجيد. يأتي رمضان في هذه الأجواء الكئيبة فيناديهم أن هلموا إلى دينكم وإلى قرآنكم، وتعالوا إلى مأدبة رسول الله ﷺ فخذوا منها العبرة والفائدة والخير كله، ويأتي صوت السماء يسمعه كل مؤمن:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[1].

فلا تيأس أخي في هذا الزمن، ولا تقنط من رحمة الله، ويا أمة الإسلام التائهة في دروب موالاة الغرب وطاعته؛ دول الكفر، وإن العزّة كل العزّة هي في هذا القرآن الذي هجرتموه:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وإن الله ـ تعالى ـ مُنجز وعده، فإياكم والقنوط أو اليأس، فهذا ليل حالك الظلام سوف يعقبه نور الفجر العظيم، وسوف تختفي خفافيش الظلام، وشياطين الحقد إلى غير رجعة.

---

1 سورة آل عمران، الآية 103.
2 سورة المنافقون، الآية 8.

والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فأهلاً برمضان؛ شهر القيام والقرآن، شهر الصبر والتضحيات، بل قل شهر الانتصارات والأمجاد الذي أعزّ الله به أمة الإسلام. ويقول تاريخنا المشرق بأن أبطال الأمة وقادتها المخلصون كانوا يختارون شهر رمضان ليفتحوا فيه الحصون والقلاع، ويخوضوا فيه المعارك الحاسمة، فقد تعلموا من مدرسة الصيام ومدرسة رسول الله ﷺ أن يكونوا أقوى من الشهوات، وأقوى من العادات، وكان رائدهم الإخلاص في العبودية ومحبّة الله ـ تعالى ـ وحُبّ نبيه ﷺ. وكان صحابة رسول الله ﷺ وسيرة نبيّه الكريم قدوتهم وسبيلهم لسلوك طريق النصر والعزة.

فهلاّ سرنا على طريق هؤلاء الأبطال المخلصين؟ وهلاّ عقل المسلمون في هذا الزمان معنى الإخلاص لله ـ تعالى ـ ومعنى التضحية لإعزاز دين الله في الأرض؟ وأن يكونوا أولياء لله ـ تعالى ـ لا لشياطين الأرض من المفسدين؟ ألم يُحذرنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ من موالاتهم؟.

يقول ـ جلا وعلا ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

وإلى هؤلاء المخدوعين بهم؛ الذين يسارعون فيهم أي في موالاتهم وطاعتهم ضد شعوبهم أن يتأملوا معنى قوله ـ تعالى ـ:

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾[3].

إلى أن يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ مقررا طريق الحق والنصر الذي لا محالة قادم بإذن الله:

---

1 سورة الروم، الآية 47.
2 سورة المائدة، الآية 51.
3 سورة المائدة، الآية 52.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

فاثبتوا إخوة الإيمان ولا يغرّنكم أحداث الزمان وتقلب أهله، ولا تنخدعوا بالسراب والوهم والحذر الحذر أن تركنوا إلى الذين ظلموا أنفسهم، أو أن تركنوا لحبّ الدنيا، واثبتوا على الحق، فإن الشدائد محكّ الرجال، وأن الأمر بلاء وابتلاء يكشف الله ـ تعالى ـ من خلاله زيف المنافقين، ويرفع فيه شأن المؤمنين، واسمعوا قوله ـ تعالى ـ:

﴿الم ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[2].

فكونوا من المشتاقين لعبير الفردوس الأعلى، وهلموا لنحيا مع القرآن في شهر القرآن، وهلموا لنحيى جميعا مع الحبيب المصطفى ﷺ ونتعلم في مدرسته ﷺ فهو قائدنا وحبيبنا وشفيعنا، وهو الذي جعله الحق ـ سبحانه وتعالى ـ خاتما للأنبياء والمرسلين، وحامل لواء الحمد يوم القيامة. هلموا إلى طاعته ﷺ واجعلوه قدوتكم لتكونوا من أهل حوضه الشريف يوم القيامة، ولتكون دنياكم وحياتكم مزرعة لآخرتكم، وقربة تتقربون بها إلى الله لتكونوا خير أمة أخرجت للناس دينا وأخلاقا ونظام حياة، ولتكونوا من أهل الوعد الإلهي القائل:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[3].

فإلى جيل رمضان، وجيل القرآن، كونوا كما كان نبيّكم (كان خلقه القرآن)[1] كما وصفته عائشة ـ رضي الله عنها ـ وكان كما مدحه الحق في قرآنه:

---

1 سورة المائدة، الآيتان 55 و56.
2 سورة العنكبوت، الآيات 1 ـ 3.
3 سورة النور، الآية 54.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

فتشبهوا بأخلاق نبيّكم وأخلاق الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ وأجمعوا في عبادتكم بين الصلاة والصيام والصدقة وقراءة القرآن، وقد كان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ـ عليه السلام ـ فيدارسه، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فالرسول ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة[3].

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان)[4].

فيا أبناءنا الشباب، ويا جيل الإسلام، ويا قلب الأمة النابض، بأيديكم أعظم طاقة فاستغلوها في جانب الخير، وقوموا برسالتكم خير قيام، ووجهوا هذه الطاقة نحو الفضيلة وإدخال السرور على قلوب إخوانكم من المؤمنين، واملأوا أوقات فراغكم بالعبادة والفضيلة وصون الأعراض، وخدمة الأوطان، بأن تكونوا حملة للدعوة الصادقة، والعقيدة الصحيحة، والدين الحق، وإن خير ما تقوموا به من الأمور الجيدة بث الأمل والبشرى في النفوس لإزاحة اليأس والإحباط عن أفراد الأمة وخصوصا عند فئة المراهقين من الشباب، فكثير من إخوانكم من هؤلاء المراهقين تؤثر عليهم مظاهر اليأس والإحباط فيولون وجوههم شطر الشيطان، ويكون أنانيا لا يسعى سوى لمصلحة ذاته ونفسه، وينسى أن الحياة رسالة، وأن الحياة عبودية وأن العبودية الحق تضحية وأمل وابتلاء... فهذه أولى الدروس التي نتعلمها في مدرسة الصيام، فلا بد من الصبر للوصول إلى النصر؛ والنصر قادم لا محالة بإذن الله، فأشيعوا في نفوس هؤلاء جو الأمل وروح البشرى والرجاء بالخير من الله ـ تعالى ـ في هذه الدنيا الفانية، وفي الآخرة الباقية.

---

1 متفق عليه.
2 سورة القلم، الآية 4.
3 أخرجه البخاري ومسلم.
4 أخرجه الإمام أحمد والطبراني.

وفي مدرسة رمضان نتعلم قيما جميلة دعانا إليها القرآن ويذكرنا بها شهر الصيام، ومن ذلك حُسن الخلق، وحُسن المعاشرة بين الزوجين، وتربية الأبناء على أسس التربية الفاضلة، وبناء الأسرة على أسس الإيمان بالله ورسوله، وكذا حسن الجوار والمحبّة بين أفراد الأمة الواحدة، وكل أهل الإسلام والإيمان وكل أهل القبلة أمة واحدة، فعلينا إشاعة المودّة والمحبّة عن طريق إفشاء السلام، والإيثار، ومساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم.

يقول ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يُحبّ لأخيه ما يُحبّ لنفسه**)**[1].

كما يقول: (أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**)**[2].

ومن أعظم هذه القيم فريضة الزكاة التي تعوّد المسلمون على أدائها في رمضان على وجه الخصوص وفي غيره من الشهور، ويدفعونها طوعا واختيارا للفقراء والمساكين والمحتاجين، وحقيقة فإن دافع الزكاة يشعر بالفرح والسرور حين يدفع زكاته بأعظم من سعادة الفقير الذي يأخذ هذه الزكاة، لأنه يتقرب إلى الله ـ تعالى ـ بذلك، وحسبك أنها طهارة وتزكية للمجتمع كله، فأعظم بها من وسيلة تتحقق من خلالها وحدة الأمة ومبادئ الموآخاة والتكامل والمواساة وإجابة الدعاء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[3].

قال ﷺ وهو على أعواد المنبر: (اتقوا النار ولو بشق تمرة فإنها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء**)**[4].

وقال كذلك: (إن الله ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء**)**[5].

---

1 متفق عليه.
2 أخرجه الإمام مسلم.
3 سورة التوبة، الآية 103.
4 متفق عليه.
5 رواه أحمد.

وقال: (إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حرّ القبور وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته)[1].

وحسبكم قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وإن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا ومحو الذنوب، فكيف إن ضُمّ إليه قيام الليل وصلوات التراويح؟ وقد كان أبو الدرداء يقول: "صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يوما شديد حرّه لحرّ يوم النشور، وتصدقوا بصدقة لشر يوم عسير". والصدقة تجبر ما يقع في الصوم أو الصلاة من خلل ونقص، ولهذا أوجب الله ـ تعالى ـ في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طُهرة للصائم من اللغو والرفث.

يُعلمنا رمضان علوّ الهمّة وقوة الإرادة، والعزم على فعل الخير، وفي هذا دعوة للشباب الصائم أن يغتنم هذا الشهر الكريم فيُربّي في نفسه قوة الإرادة والعزم على ترك بعض العادات السيئة كالإدمان على التدخين، مستعينا على ذلك بالدعاء والإخلاص لله ـ تعالى ـ وبالصدقة، فلا تكن أخي المؤمن أسير هذه العادة المذمومة، لا تكن أسير السيجارة وأسير الشيطان فتعجز، استفد من رمضان الذي يمنعك عن الطعام والشراب والشهوات، وإن كنت صادقا فسيُعينك الله ـ تعالى ـ وستتحرر إن شاء الله من رق السيجارة وعبودية الشيطان. وتذكر بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سائلك يوم القيامة إن لم تتب لمَ أنفقت مالك في هذا السبيل الخبيث، ولمَ أسأت إلى صحتك وبدنك وهو أمانة ونعمة أنعمها الله عليك.

وقالوا كذلك عن علو الهمّة والإرادة أنها تُحقق الفوائد والحاجات العظيمة، وتخطّي الصعاب والعقبات، وهي همّة عالية تظهر في الأحوال والأخلاق والمعاملات وسائر الطاعات التي تقرب الصائم بها لربّه، ومن ثمراتها الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، رزقنا الله وإياكم علوّ الهمّة، وصحة الإرادة وقوتها، كما رزقها لصحابة المصطفى ﷺ ومتعنا الله وإياكم بحبّه ـ سبحانه وتعالى ـ وحُبّ نبيه ﷺ، وحُبّ القرآن،

---

1 أخرجه أحمد في المسند.
2 سورة البقرة، الآية 261.

فإنه إذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة سنة الحبيب المصطفى ﷺ أثمرت أنواع الثمار، وأتت أكلها كل حين بإذن الله، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى.

قال رسول الله ﷺ في حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: (إن في الجنّة غرفة يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها**) فقال أبو مالك: لمن هي يا رسول الله؟ قال: (**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائما والناس نيام**)**[1].

فهل من مُشمّر للجنة؟ ألا مشمّر للجنة تلك الجنة التي أعدّها الله للمتقين:

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[2].

تلك الجنة التي يصلكَ عبيرها وأنت صائم، وأنت قائم، وأنت مخلص لوجه الله الكريم؛ تلك الجنة التي تتفتح أبوابها في رمضان، فأعظم بها من دار، أخرج ابن ماجة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: (ما منكم من أحد إلا له منزلان، منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾[3][4].

وقد ورد أن النبي ﷺ مرّ في ليلة الإسراء والمعراج على واديين في أحدهما الجنة بغرفها وحسنها، وفي ثانيها النار بشرها وحرّها، وقد قالت الجنة [يا رب ائتني ما وعدتني، فقد كثر غرفي وحريري واستبرقي وسندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وصحافي وأكوابي وأباريقي وكؤسي وعسلي ومائي ولبني وخمري، فاتني ما وعدتني. فقال الله ـ عز وجل ـ لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسولي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ولم يتخذ من دوني أندادا، ومن خشيني فهو آمن، ومن سألني أعطيته، ومن أقرضني جزيته، ومن توكل عليّ كفيته، إنّي أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد، وقد أفلح المؤمنون، وتبارك الله أحسن الخالقين. قالت رضيت**].**

---

1 **أخرجه الإمام أحمد في المسند.**
2 **سورة مريم، الآية 63.**
3 **سورة المؤمنون، الآية 10.**
4 **أخرجه ابن ماجة.**

وأما جهنم فقالت: [رب آتني ما وعدتني، فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وضريعي وغساقي وقد بعد غوري واشتد حرّي. فقال الله ـ عز وجل ـ: لك كل مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب، فقالت قد رضيت][1].

فأنت أخي تتعامل مع ربّ كريم غفور رحيم، فأحسن صيامك، ولتصم نفسك عما سوى الله، ولتصم عن أخلاق أهل الفساد، وأكثر من قراءة القرآن وذكر الله ـ تعالى ـ فإن ذكرته ـ سبحانه ـ فأنت مذكور عنده في السماء في ملأ الملائكة والصالحين، وقد قالوا في معنى قوله ـ تعالى ـ:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[2].

أي: اذكروني بخدمتي	أذكركم بنعمتي
واذكروني بالتوحيد	أذكركم بالتأييد
واذكروني بالشكر	أذكركم بالمزيد
واذكروني بالمحبّة	أذكركم بالقرب
واذكروني بالخوف	أذكركم بالأمان
واذكروني بالرجاء	أذكركم بتحقيق الآمال

جعلنا الله ـ تعالى ـ وإياكم من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، وتقبل الله منا ومنكم الطاعات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

رسالة عمر بن الخطاب
إلى أبي موسى الأشعري في القضاء

الأستاذ وليد قاروط

---

1 أخرجه ابن كثير في تفسيره في آيات الإسراء.
2 سورة البقرة، الآية 152.

مدرس التجويد في كلية القرآن والدراسات الإسلامية- جامعة القدس

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد بعث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عدة رسائل إلى قضاته: منها ما هو توجيهات لهم، ومنها ما هو إجابة عن أسئلة أشكلت عليهم، فقد أرسل ـ رضي الله عنه ـ إلى معاوية[1] والمغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنهما ـ[2] وشريح[3] وغيرهم، إلّا أن رسالته إلى أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قد اهتم بها العلماء المتقدمون والمتأخرون اهتمامًا كبيرًا لِما فيها من فوائد وقواعد عامة تُعدّ مرجعًا في القضاء.

نص الرسالة:

يقول عمر ـ رضي الله عنه ـ في رسالته إلى أبي موسى: "أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعَة، فافهم إذا أُدليَ إليك؛ فإنه لا ينفع تكلُّمٌ بحق لا نفاذ له، آسِ الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حَيفك، ولا ييأسَ ضعيف من عدلك، البينة على المدعي، واليمينُ على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرم حلالًا، ومن ادعى حقًا غائبًا أو بينةً فاضرب له أمدًا ينتهي إليه، فإن بيَّنَهُ أعطيتَه بحقّه، وإن أعجزه ذلك استحللْت عليه القضية، فإن ذلك هو أبلغُ في العذر وأجلى للعَماء، ولا يمنعنّك قضاءٌ قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهُديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مُجرَّبًا عليه شهادة زور، أو مجلودًا في حد، أو ظَنينًا في ولاء أو قرابة؛ فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر، وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيْمان، ثم الفهمَ الفهمَ فيما أُدليَ إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن

---

1 وكيع، محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، 74/1، ط1، 1366هـ/1947م، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

2 المصدر نفسه، 274/1.

3 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، 49/1، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، ط1، 1411هـ/1991م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

ولا سنة، ثم قايِس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهِها بالحق، وإياك والغضبَ والقلقَ والضجرَ والتأذيَ بالناس والتنكرَ عند الخصومة؛ فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر، ويحسن به الذكر، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس في نفسه شانه الله، فإن الله ـ تعالى ـ لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصًا، فما ظنّك بثوابٍ عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام عليك ورحمة الله"[1].

أهمية هذه الرسالة:

قال ابن تيمية: "ورسالة عمر المشهورة في القضاء إلى أبي موسى الأشعري تداولها الفقهاء، وبنَوا عليها واعتمدوا على ما فيها من الفقه وأصول الفقه"[2]. وقال ابن فرحون: "ونبدأ بذكر رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ المعروفة برسالة القضاء، قال ابن سهل: وهذه الرسالة أصل فيما تضمنته من فصول القضاء ومعاني الأحكام، وعليها احتذى بها قضاة الإسلام، وقد ذكرها كثير من العلماء وصدروا بها كتبهم"[3]. وقال عنها المبرّد: "وهي التي جمع فيها جمل

---

1 الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد، سنن الدارقطني، 369/5، تحقيقُ شعيبِ الأرنؤوط وآخرين، ط1، 1424هـ، 2004م، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان. والبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، 229/10، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط3، 1424هـ، 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. وابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، 71/6، تحقيق محمد رشاد سالم، ط1، 1406هـ، 1986م، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية. والمتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال، 806/5، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، ط5، 1401هـ، 1981م، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان. وابن حزم، علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، 146/7، تحقيق أحمد شاكر، د.ط، د.ت.ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان. وابن القيم، إعلام الموقعين، 67/1. وصححها ابن تيمية. انظر ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، 71/6. وابن حجر العسقلاني. انظر العسقلاني، أحمد بن علي، التلخيص الحبير، 473/4، ط1، 1419هـ، 1989م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

2 ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، 71/6.

3 ابن فرحون، إبراهيم بن علي، تبصرة الحكام، 30/1، ط1، 1406هـ/1986م، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

الأحكام، واختصرها بأجود الكلام، وجعل الناس بعده يتخذونها إمامًا، ولا يجد مُحق عنها مَعدلًا، ولا ظالم عن حدودها محيصًا"[1].

وكما هو واضح من الرسالة فإنها تظهر فصاحةَ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وعِلمَه بشكل عام، وفقهه في القضاء بشكل خاص، كما تُظهر تقدّمه في التفكير على أهل زمانه، وبصيرتَه وحكمَتَه، وورعَه وخشيتَه لله ـ تعالى ـ.

شرح الرسالة:

قوله ـ رضي الله عنه ـ: [القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعَة**]، قد يُفهَم منه أن الحاكمَ أو القاضي إذا أراد القضاء، فإنه يقضي إما بحكم عام موجودٍ في كتاب الله، أو بسنة سنّها رسول الله ﷺ[2]، وقد يُفهم منه أن وجود القضاء عند المسلمين فرض عليهم؛ وذلك لأمر الله لهم بذلك، واتباعًا لسنة النبي ﷺ[3]، ولعلّ هذا هو الأقرب.**

وقوله: [فافهم إذا أُدلـيَ إليك**] أي: إذا توصل إليك الكلام في خصومة، فعليك بحسن الفهم وصحة القصد، وحسنُ الفهم لا يكتمل إلّا بفهم الواقع، وفهم حكم الله تعالى لتنزيله على الواقع[4].**

وقوله: [فإنه لا ينفع تكلُّمٌ بحق لا نفاذ له**] أي: إن الحق إذا لم يُقدَر على تنفيذه، فمعنى ذلك أن الحاكم أو القاضي لم تعُدْ له الصلاحية لذلك[5]، لهذا فيستحب للقاضي الإسراع في تنفيذ الحكم إذا تأكد عدم وجود ما يمنع ذلك؛ لئلّا تتعطل مصالح الناس.**

وقوله: [آسِ الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حَيفك**]، أي: اجعل الناس في مرتبة واحدة ولا تمِل إلى أحدهم دون الآخر، سواء**

---

1 المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، 15/1، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، 1417هـ/1997م، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر.
2 ابن القيم، إعلام الموقعين، 68/1.
3 الطريفي، ناصر بن عقيل، مجلة البحوث الإسلامية: تحقيق رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري وبيان ما تضمنته من توجيهات للقضاة، 226/17، العدد 17، الإصدار: من ذي القعدة إلى صفر لسنة 1406هـ/1407هـ.
4 ابن القيم، إعلام الموقعين، 69/1.
5 المصدر نفسه، 70/1.

أكان ذلك في حُكمك أم في بشاشتك في وجهه؛ فلعلّ القاضي إذا استمع لأحد الخصمين أكثر من استماعه إلى الآخر، أو عامله معاملة تفضُل على الآخر، أن يجعل ذلك أحدَ الخصمين قويًا في حجته لأنه رأى القاضي قد مال إليه، ويجعلَ الخصم الآخر ضعيف الحجة لِيأسه من عدل القاضي[1].

وقوله: [البينة على المدعي، واليمينُ على من أنكر**]. البينة في اصطلاح جمهور الفقهاء هي الشاهدان، أو الشاهد واليمين[2]، إلّا أن ابنَ القيم[3] وابن فرحون[4] وابن حجر العسقلاني[5]. حملوا البينة على معناها اللغوي وقالوا بأن البينة هي كل ما يبين الحق ويظهره: من الشهود والإقرار، والقرائن، وغير ذلك، يقول ابن القيم: "ولا يقف ظهور الحق على أمر معين لا فائدة في تخصيصه به مع مساواة غيره في ظهور الحق أو رجحانه عليه ترجيحًا لا يمكن جحده ودفعه، كترجيح شاهد الحال على مجرد اليد في صورة من على رأسه عمامة وبيده عمامة وآخر خلفه مكشوف الرأس يعدو أثره، ولا عادة له بكشف رأسه، فبينة الحال ودلالته هنا تفيد من ظهور صدق المدعي أضعاف ما يفيد مجرد اليد عند كل أحد؛ فالشارع لا يُهمل مثل هذه البينة والدلالة، ويضيع حقًا يَعلم كل أحد ظهوره وحجته، بل لما ظن هذا من ظنه ضيعوا طريق الحكم، فضاع كثير من الحقوق"[6].**

فإن لم يأتِ المدعي بالبينة عندها يكون اليمين على المدّعى عليه، وقد تحاكم عمر وأبيّ إلى زيد في نخل ادّعاه أبي، فتوجهت اليمين على عمر، فقال زيد: أعفِ أمير المؤمنين. فقال عمر: ولمَ يَعفي أميرَ المؤمنين؟ إن عرفتُ شيئًا استحققته بيميني، وإلا تركته، والله الذي لا إله إلا هو، إن النخل لنخلي، وما لأبيّ فيه حق. فلما خرجا وهب النخل لأبي، فقيل له: يا أمير المؤمنين هلا كان هذا قبل اليمين؟ فقال: خفت أن لا أحلف، فلا يحلف الناس على حقوقهم بعدي، فيكون سنة[7].

---

1 ابن القيم، إعلام الموقعين ، 70/1.
2 المصدر نفسه، 71/1.
3 المصدر نفسه، 71/1.
4 ابن فرحون، تبصرة الحكام، 202/1.
5 العسقلاني، فتح الباري، 160/13، د.ط، 1379هـ، دار المعرفة، بيروت- لبنان.
6 ابن القيم، إعلام الموقعين، 71/1.
7 ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، 491/9، 1388هـ/1968م، مكتب القاهرة، مصر.

وقوله: [والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرم حلالا]، **هو أيضًا من قول النبي ﷺ قبله[1]، والصلح الجائز بين المسلمين "هو الذي يعتمد فيه رضا الله ـ سبحانه ـ ورضا الخصمين"[2]. يقول ابن القيم: "والصلح الذي يحل الحرام ويحرم الحلال كالصلح الذي يتضمن تحريم بُضع حلال، أو إحلال بُضع حرام، أو إرقاقَ حر، أو نقلَ نسب أو ولاء عن محل إلى محل، أو أكلَ ربًا، أو إسقاطَ واجب، أو تعطيلَ حد، أو ظلمَ ثالث، وما أشبه ذلك؛ فكل هذا صلح جائز مردود"[3].**

وقوله: [ومن ادعى حقًا غائبًا أو بينةً فاضرب له أمدًا ينتهي إليه... وأجلى للعماء]، **يعني بذلك: إعطاء المدعي وقتًا ليحضر بينتَه، وذلك بحسب الحاجة، فإن ذلك هو تمام العدل، فإن رأى القاضي عنادًا من المدعي لم يعطه أمدًا[4]، وإن أعطاه أمدًا ثم عجز عن الإتيان ببينة، فإن المدعي يُحاسب لتعطيله القضاء.**

وقوله: [ولا يمنعنك قضاء...ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل]، **أي: إذا عرضت للقاضي مسألة فاجتهد فيها ثم قضى باجتهاده، ثم عرضت له المسألة نفسها مرة أخرى، فعليه ألا يكتفيَ بالاجتهاد الأول؛ بل يجتهد مرة أخرى[5]، فإن ظهر له الحق في شيء غير الذي قضاه في المرة الأولى فعليه الرجوع إلى الحق؛ فإن الحق هو المقدّم، فلا يُعرض عنه ابتغاءَ عزّة نفس منه وعنادًا.**

وقوله: [والمسلمون عدول بعضهم على بعض... وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان]، **أي: إن العدالة هي الأصل، فإن كان الإنسان مسلمًا اعتُبِر عدلًا اتباعًا للأصل، وتُقبل شهادته إن كان ظاهره خيرًا، فإن عُثر على أنه ارتكب ما يُبطل عدالتَه كشهادة زور أو حدٍ وما شابه ذلك، فإن شهادته تُرَدّ، وإن لبستْهُ تهمة أيضًا تُرد شهادته؛ فالشهادة تُرَد بالتهمة[6].**

---

1 الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، أبواب الأحكام، باب ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح بين الناس، ط2، 1395هـ/1975م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر. وصححه الألباني. انظر الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، 718/2، د.ط، د.ت.ط، المكتب الإسلامي، الأردن.

2 ابن القيم، إعلام الموقعين، 86/1.

3 المصدر نفسه، 85/1.

4 المصدر نفسه، 86/1.

5 المصدر نفسه، 86/1.

6 المصدر نفسه، 99/1.

والمقصود بالبينات أي الأدلة والقرائن كرائحة الخمر من فم المتهَم، والحبْل مثلًا بينة واضحة على الزنا وإن لم يوجد شهود، والمقصود بالأيمان هي أيمان اللعان والقسامة، فهي تقوم مقام البينة[1].

وقوله: [ثم الفهمَ الفهمَ فيما أُدليَ إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة ثم قايِس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهِها بالحق]، **يبين أن القاضي والمجتهد يرجع أولًا إلى كتاب الله ثم إلى سنة رسوله ﷺ، فإن لم يجد فيهما فيجتهد، ومن الاجتهاد معرفة الأمثال ثم القياس، وهذا دليل واضح على اعتبار القياس مصدرًا من مصادر الشريعة، وقد ذكر ابن القيم أمثلة كثيرة من اجتهادات الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومعرفتهم الأمثال وقياسهم وقال: "فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مثلوا الوقائع بنظائرها وشبهوها بأمثالها، وردوا بعضها إلى بعض في أحكامها وفتحوا للعلماء باب الاجتهاد ونهجوا لهم طريقه، وبينوا لهم سبيله"[2].**

وقوله: [وإياك والغضبَ... ويحسن به الذكر]، **أي: إن الغضب والضجر والقلق مما يؤثر في نفسية القاضي فيحول بين القاضي وبين كمال معرفته بالحق، وتجريد قصده له؛ لذلك عليه بالصبر وإن تعدى أحد الخصوم ويحتسب ثوابه عند الله، فلا يجعل مشاعره الشخصية تزيّن له ما ليس صوابًا فيوقع الظلمَ على غيره.**

وقوله: [فمن خلصت نيته في الحق... والسلام عليك]، **فيه مواعظ عظيمة من أمير المؤمنين، فمن جعل نيته في قضائه فقط إرضاء الله ـ تعالى ـ فأخلص له النية فإن الله سيوفقه إلى الحق، ومن أخلص نيته لله كان الله معه، ومن كان الله معه فمن ذا الذي سيغلبه! هذا في الدنيا، أما في الآخرة فإن ثوابه أعظم ونعيمَه أدوَم، فبعد هذا الأجر العظيم في الدنيا وفي الآخرة، بعد كل ذلك كيف يفكّر القاضي أدنى تفكير في اجتناب الصواب عن قصد!! فسبحان الله العظيم!**

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

---

1 ابن القيم، إعلام الموقعين، 1/100-101.
2 المصدر نفسه، 1/166.

الشيخ صالح الفوزان

الحمد لله رب العالمين، حَكَمَ بالموتِ على بني الإنسانِ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1].

الاستعداد للموت:

يُسَنُّ الإكثارُ من ذكر الموتِ والاستعدادُ له لقوله ﷺ: (أكثروا من ذكر هادِمِ اللذاتِ) **يعني الموت[2]، ويُباحُ العلاجُ والتداوي بالمُبَاح، لأنَّ الله ما أنزلَ داءً إلا وأنزلَ له شفاء، ولا يجوز التداوي بالمُحرَّمِ من مأكولٍ وغيره كالخمر والنجاسات لما في الصحيح عن ابن مسعودٍ:** (إن الله لم يجعل شفاءَ أمتي فيما حرَّم عليها) **وكذا لا يجوز التداوي بما يُخِلُّ في العقيدة من السِّحرِ والشعوذَةِ والذبح لغير الله[3] وإتيان الكُهّان والمنَجِّمين، ويجبُ على المريضِ التوبة إلى الله لأنها واجبة في كلِّ حالٍ وفي حالِ المرضِ آكد.**

وأن يوصي بما له وما عليه من الحقوق وما عنده من الودائعِ حتى تُردَّ إلى أهلها، ويوصي بالنَّظرِ في حق أولادِه الأصاغر، ويُسَنُّ تلقينُ المحتضِرِ قولَ لا إلهَ إلا الله لقوله ﷺ: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)[4].

---

1 سورة الرحمن، الآيتان 26 و 27.
2 رواه الخمسةُ بأسانيد صحيحة، وصححه ابنُ حبَّان والحاكمُ وغيرهما.
3 كالذبح للجن وغيرهم مما يجري على أيدي المشعوذين.
4 رواه مسلم

ويُسنُّ توجيهُه إلى القبلةِ فإذا ماتَ سُنَّ تغميضُ عينيه، وسترهُ بثوبٍ، ويُسرَع بتجهيزه مهما أمكن، ويجبُ الإسراع في قضاء ديونه، وتنفيذ وصيته لقولِهِ ﷺ: (نفسُ المؤمنِ معلَّقةٌ بدينه حتى يُقضَى عنه)[1]

1 رواه أحمد والترمذي وحسنه.

وتجهيزه كما يلي:

أولاً: تغسيل الميت وتكفينه:

[1] حُكمُ تغسيل الميّت وتكفينه: **غسلُ الميّتِ وتكفينُه: فرضُ كفايةٍ على مَن عَلِمَ به من المسلمين إذا قام بهما من يكفى سقَطَ الإثمُ عن الباقين.**

[2] من يتولى تغسيلَ الميّت: **يُشترطُ أن يكونَ مسلمًا وينبغي أن يكونَ ثقةً أمينًا عالمًا بأحكام الغسل. ثم إن كان الميّتُ رجلاً تولى تغسيلَه الرِّجالُ ولا يجوز للنساءِ تغسيلُه إلا الزوجة فلها أن تُغَسِّلَ زوجَها. وإن كان الميتُ امرأةً تولى تغسيلَها النساءُ ولا يجوز للرجالِ تغسيلُها إلا الزوج فله أن يُغسِّلَ زوجتَه. وإن كان الميتُ صغيرًا دون سبعِ سنين فلكل من الرجال والنساء تغسيلُه.**

[3] صفةُ الماءِ الذي يُغسَّل به: **يشترط أن يكون الماء طهورًا مباحًا والأفضل أن يكون باردًا إلا عند الحاجة لإزالة وسخٍ على الميّت أو في شدّة بردٍ فلا بأس بتسخينه.**

[4] مكانُ تغسيل الميّت: **يكون التغسيلُ في مكانٍ مستورٍ عن الأنظارِ ومسقوفٍ من بيتٍ أو خيمةٍ ونحوِها إن أمكن.**

[5] ما يُفعل بالميّت قبل التغسيل: **يُسترُ ما بين سُرَّتِه ورُكبتهِ وُجوبًا ثم يُجرَّدُ من ثيابه ويُوضَعُ على سرير الغسلِ منحدرًا نحو رجليه لينصبَّ عنه الماء وما يخرجُ منه.**

[6] من يحضرُ التغسيل: **يحضره الغاسلُ ومن يُعينُه على الغسلِ ويُكرَهُ لغيرهم حضورُه.**

[7] صفةُ التَّغسيلِ: **ينبغي أولاً أن يَرفعَ الغاسلُ رأسَ الميتِ إلى قُربِ جلوسِه ثم يمر يدَه على بطنه ويعصره برفقٍ ليخرجَ منه ما هو مستعد للخروجِ ويُكثِر صبَّ الماء حينئذٍ ليذهَبَ بالخارجِ. ثم يلف الغاسلُ على يده خرقة خشنة**

فينجي الميّتَ وينقى المخرجَ بالماءِ. ثم ينوي التغسيل ويُسَمّي ويوضّئه كوضوء الصلاة إلا في المضمضة والاستنشاق فيكفي عنهما مسحُ الغاسلِ أسنان الميّتِ ومنخريه بأصبعيه مبلولتين أو عليهما خرقة مبلولة بالماءِ ولا يدخل الماء فَمَهُ ولا أنفَه. ثم يغسل رأسَه ولِحيتَه برغوةِ سِدْرٍ أو صابون ثم يغسل ميامِنَ جسده وهي صفحة عنقِه اليُمنى ثم يده اليُمنى وكتفه ثم شِقَّ صَدرِه الأيمن وجنبه الأيمن وفخذه الأيمن وساقِه وقدمه الميامن ثم يقلبه على جنبه الأيسر فيغسلَ شِقَّ ظهرِه الأيمن ثم يغسل جانبَهُ الأيسر كذلك ثم يقلبه على جنبه الأيمن فيغسل شِقَّ ظهرِه الأيمن فيغسل شِقَّ ظهره الأيسر ويستعمل السِّدْرَ مع الغسل أو الصابونَ ويُستحب أن يلف على يده خرقةً حال التغسيل.

[8] عددُ الغسلات: **إن حصل الإنقاءُ فالواجبُ غسلُهُ واحدةٌ والمستحبُّ ثلاثُ غسلاتٍ. وإن لم يحصلْ الإنقاءُ زادَ في الغسلاتِ حتى ينقى إلى سبعِ غسلاتٍ ويُستحبُّ أن يجعلَ في الغسلةِ الأخيرةِ كافورًا لأنه يصلب بدنَ الميّت ويطيبه ويبرده فلأجل ذلك يجعل في الغسلة الأخيرة ليبقى أثرُهُ.**

[9] ما يُفعلُ بالميّتِ بَعدَ التَّغسيلِ: **يُنَشَّف بثَوبٍ ونَحوِه ويقَصُّ شارِبُه وتقلَّم أظافِرُه إن طَالَت ويُؤخذُ شعر إبطيه ويجعل المأخُوذُ معه في الكَفَنِ ويظفر شَعرُ رأسِ المرأةِ ثلاثة قرون ويُسدَلُ من ورائها.**

[10] ما يُفعلُ بالميّت إذا تعذَّرَ غسله: **من تعذر غسله لعَدَم الماءِ. أو خِيفَ تَقَطّعهُ بالغسل كالمجذومِ والمُحتَرِق. أو كان الميّتُ امرأةً مع رجالٍ ليسَ فيهم زوجها أو رجلاً مَعَ نساءٍ ليسَ فيهن زوجته فإنَّ الميتَ في هذه الأحوال يُمَمَّمُ بالتُّرابِ بمسحِ وجهِهِ وكفَّيهِ من وراءِ حائِلٍ على يد الماسِحِ. وإن تعذر غسلُ بعضِ الميّتِ غسلَ ما أمكنَ غسلُه منه ويُمّمَ عن الباقي.**

[11] ما يُشرَعُ في حَق الغاسل بعدَ الغسلِ: **يُستحبُّ لِمَنْ غسلَ ميتًا أن يغتسلَ وليس ذلك بواجب.**

أحكام التكفين

[1] صِفَة الكَفَنِ: **يُشترطُ أن يكون ساترًا ويُستحبُّ أن يكونَ أبيض نظيفًا سواء كان جديدًا وهو الأفضل أو غسيلاً.**

[2] مقدارُ الكَفَنِ: **الواجِبُ ثوبٌ يَسترُ جميعَ الميّتِ والمُستحبُّ تكفينُ الرجلِ في ثلاث لفائِف وتكفين المرأة في خمسة أثواب: إزار وخمار وقميص ولفافتين. ويُكفّنُ الصَّغيرُ في ثوبٍ واحدٍ ويباحُ في ثلاثةِ أثوابٍ وتُكفّنُ الصَّغيرةُ في قميصٍ ولفافتين. ويُستحبُّ تجميرُ الأكفانِ بالبخُورِ بعدَ رَشِّها بماء الوردِ ونحوه لتعلق بها رائحةُ البُخورِ.**

[3] صِفَةُ تكفين الرَّجُلِ: **تُبسَطُ اللفائِفُ الثلاثُ بعضها فوقَ بعضٍ ثم يُؤتى بالميّت مستورًا وُجُوبًا بثوبٍ ونحوِه ويُوضَعُ فوقَ اللفائفِ مُستلقيًا. ثم يُؤتى بالحنوطِ وهو الطِّيب ويُجعلُ منه في قطن بينَ أليتي الميّت ويَشُدُّ فوقَه خرقَة. ثم يُجعلُ باقي القُطنِ المُطَيَّبِ على عينيهِ ومنخَرَيْهِ وفَمِه وأُذُنَيه وعلى مواضِعِ سُجودِه: جبهتِه وأنفه ويديه وركبتيه وأطرافِ قَدَميه ومغابنِ البَدَنِ الإبطين وطي الركبتين وسُرَّتِه. ويجعل مِنَ الطيب بينَ الأكفانِ وفي رأس الميّتِ. ثُمَّ يرد طرفُ اللفافةِ العُليا من الجانب الأيسر على شِقِّهِ الأيمن ثم طرفها الأيمن على شِقِّه الأيسر ثم الثانية كذلك ثم الثالثة كذلك ويكون الفاضِلُ مِنْ طُولِ اللفائِفِ عندَ رأسه أكثرَ مما عند رجليه ثم يجمعُ الفاضِلَ عند رأسه ويرُدُّه على وجهه ويَجمعُ الفاضِلَ عند رجليه فيرده على رِجلَيه ثم يُعَقدُ على اللفائف أحزِمةً لئلا تنتشر وتحل العُقد في القبر.**

[4] صِفَةُ تكفِينِ المرأة: **تكفن المرأة في خمسة أثواب: إزار تُؤزَر به ثم تلبس قميصًا ثم تُخمرُ بِخِمارٍ على رأسها ثم تُلفُّ بلفافتين.**

ثانيًا: أحكام الصلاة على الميت

فَضلُهَا: **عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:** (من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراطٌ ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، قيل وما القيراطان. قال مِثْلَ الجبلَيْن العظيمين)[1].

حُكْمُها: **فَرْضُ كفايَةٍ إذا فَعَلَها البعضُ سَقَطَ الإثمُ عن الباقين وتبقى في حقِّ الباقين سُنَّة وإن تركها الكُلُّ أثموا.**

شُروطُها: **النِّيَّةُ واستقبالُ القِبلَةِ، وسترُ العورَةِ، وطهارةُ المصلِّي والمصلَّى عليه، واجتنابُ النَّجاسة، وإسلامُ المصلِّي والمصلَّى عليه، وحضور الجنازةِ إن كانت بالبلدِ، وكونُ المصلِّي مُكَلَّفًا.**

أركانها: **القيامُ فيها والتَّكبيراتُ الأربع، وقراءةُ الفاتحةِ، والصلاةُ على النبي ﷺ والدعاءُ للميِّت، والترتيبُ، والتَّسليمُ.**

سُنَنُها: **رفعُ اليدين معَ كُلِّ تكبيرةٍ، والاستعاذةُ قبل القراءةِ، وأن يدعو لنفسه وللمسلمين، والإسرارُ بالقراءةِ وأن يقِفَ بعدَ التكبيرة الرابعة وقبلَ التَّسليم قليلاً. وأن يضعَ يدَهُ اليُمنى على يده اليُسرى على صدره والإلتفاتُ على يمينه في التَّسليمِ.**

صِفَتُهَا: **يقومُ الإمامُ والمنفردُ عندَ صَدْرِ الرَّجُل ووَسَط المرأةِ، ويقفُ المأمُومُونَ خلفَ الإمام، ويُسنُّ جعلُهم ثلاثَةَ صُفُوفٍ، ثمَّ يكبِّرُ للإحرامِ ويتعوّذُ بعد التكبير مباشرة، فلا يَستَفْتِح، ويُسَمِّي ويقرأ الفاتحة، ثم يُكبِّرُ ويُصلِّي بعدها على النبي ﷺ مثل الصلاة عليه في تشهُّدِ الصَّلاة. ثم يُكبِّر ويدعو للميِّت بما ورَدَ؛ ومنهُ:**

---

1 متفق عليه.

اللهمَّ اغفر لحيّنَا وميّتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا، إنَّك تعلم مُنقلبنا ومثوانا وأنت على كلِّ شيءٍ قديرُ، اللهمَّ مَنْ أحييتَهُ مِنَّا فأحيه على الإسلام والسُّنّةِ ومَنْ تَوفَّيتَهُ مِنَّا فتوفَّهُ عليهما، اللهم اغفر له وارحَمْهُ وعافِهِ واعفُ عنه وأكرِم نُزُلَهُ ووسّع مُدْخَلَه واغسِلهُ بالماءِ والثَّلج والبَرَد ونَقِّه مِنَ الذنوب والخطايا كما يُنقَّى الثَّوبُ الأبيضُ من الدَّنس وأبدِلْهُ دارًا خيرًا من دارِهِ وزَوجًا خيرًا من زوجه وأدخِلْه الجنَّةَ وأعِذْه مِنْ عذاب القبر وعذاب النارِ وافسحْ لَهُ في قبره ونوّر له فيه ـ وإن كانَ المصلَّي عليه أُنثى قال اللهم اغفر لها ـ بتأنيث الضمير في الدعاءِ كُلِّه.

وإن كان المصلَّى عليه صغيرًا قال اللهم اجعَلْهُ ذُخرًا لوالديه وفرطًا وأجرًا وشفيعًا مجابًا، اللهم ثَقِّلْ به موازينَهُما وأعظِمْ به أُجُورَهُما وألحِقْهُ بصالح سَلَفِ المؤمنين واجعله في كفالة إبراهيم وَقِهِ برحمتكَ عذابَ الجحيم، ثمّ يُكَبِّر ويقفُ بعدها قليلاً.

ثم يُسَلِّم تسليمةً واحدةً عن يمينه ومن فاته بعضُ الصلاة على الجنازةِ دخلَ مع الإمام فيما بقي ثم إذا سلَّمَ الإمامُ قضى ما فاته على صِفَتِه، وإن خَشِيَ أن تُرفَعَ الجنازةُ تابع التَّكبيرات (أي بدون فصلٍ بينها) ثم سلَّم. ومن فاتته الصلاة على الميّتِ قبلَ دفنِه صلَّى على قبره.

ومَنْ كان غائبًا عن البلد الذي فيه الميّتُ وعَلِم بوفاته فَلَه أن يُصلي عليه صلاة الغائب بالنّيةِ، وحَملُ المرأة إذا سَقَطَ ميّتًا وقد تمَّ له أربعةُ أشهُرٍ فأكثَر صلى عليه صلاة الجنازةِ وإن كان دُون أربعةِ أشهرٍ لم يُصَلّ عليه.

ثالثًا: حمل الميت ودفنه

[1] حمل الميت ودفنه مِن فُروض الكفاية على مَنْ عَلِمَ بِحَالِهِ مِنَ المسلمين. ودفنُه مشروعٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا، أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [2].

أي جعله مقبُورًا.

والأحاديثُ في دفن الميّتِ مُستفيضَةٌ وهو بِرٌّ وطاعةٌ وإكرامٌ للميّتِ. واعتناءٌ به.

ويُسنُّ اتباع الجنازة وتشيعها إلى قبرها، ففي الصحيحين: (مَنْ شَهِدَ جنازةً حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تُدفَنُ فله قيراطان) **قيل: وما القيراطان؟ قال:** (مِثْلُ الجبلين العظيمين).

وللبخاري بلفظ: (من شيع) **ولمسلم بلفظ:** (من خرج معها ثم تبعها حتى تدفن) **ففي الحديث برواياته الحثُّ على تشييع الجنازة إلى قبرها.**

ويُسنُّ لِمَنْ تبعها المشاركةُ في حملها إنْ أمكن ولا بأس بحملها في سيارة أو على دابّةٍ لا سيما إذا كانت المقبرةُ بعيدةً ويُسَنُّ الإسراعُ بالجنازة، لقولِهِ ﷺ: (أسرعوا بالجنازة، فإنْ تَكُ صالحة فخير تُقَدِّمونَها إليه، وإن تَكُ سوى ذلك فَشَرٌّ تضعُونه عن رِقَابِكُم)[3].

لكن لا يكونُ الإسراعُ شديدًا، ويكونُ على حامليها ومُشيّعيها السَّكينة، لا يرفعونَ أصواتهم لا بقراءةٍ ولا غيرها من تهليل وذكرٍ، أو قولهم: (استغفروا له) وما أشبه ذلك لأن هذا بدعة، وتشبُّه بأهلِ الكتابِ، ويحرُمُ خُروج النِّساءِ مع الجنائز لحديثِ أمِّ عطيّةٍ: "نُهينا عن اتّباعِ الجنائز") ولم تكن النِّساء يخرُجْنَ مع الجنائِزِ على عهد رسول الله ﷺ فتشييعُ الجنائزِ خاصٌّ بالرِّجال.

---

1 سورة المرسلات، الآية 25.
2 سورة عبس، الآية 21.
3 متفق عليه.

ويُسنُّ أن يُعَمَّقَ القبرُ ويُوسَّعَ لقوله ﷺ: (احفروا وأوسِعُوا وعمِّقُوا)[1] **ويسن سترُ قبر المرأة عند إنزالها فيه، لأنها عورة.**

ويُسنُّ أن يقولَ مَنْ يُنزِلُ الميتَ في القبر: "بسم الله وعلى مِلَّة رسول الله" **لقوله ﷺ:** (إذا وضعتم موتاكم في القبور فقولوا بسم الله وعلى ملَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2]. **ويُوضَعُ الميّتُ في لَحْدِهِ على شِقِّه الأيمن مُستقبل القبلة لقوله ﷺ في الكعبة:** (قِبلَتُكُم أحياءً وأمواتًا)[3].

ويُجْعلُ تحتَ رأسه لَبِنَة أو حَجَر أو تُراب ويُدنى من حائطِ القبر الأمامي ويُجعل خلفَ ظهرِهِ ما يسنده من تراب حتى لا ينكَبَ على وجهه أو ينقلب على ظهره ثم تُسَدُّ عليه فتحةُ اللّحدِ باللبنِ والطِّينِ حتى يلتحمَ ثم يُهالُ عليه التُّرابُ ولا يُزادُ عليه من غير تُرابه ويُرفَعُ القبرُ عن الأرض قدرُ شبر ويكون مُسنَّمًا أي مُحَدَّبًا كهيئة السنامِ لتنزل عنه مياهُ السيولِ ويُوضَع عليه حصبَاء ويرشُّ بالماء ليتماسَكَ ترابُه ولا يتطاير، والحكمةُ في رفعِهِ بهذا المقدار ليُعلَم أنَّه قبر فلا يُداسُ ولا بأس بوضع النَّصائب على طرفيه لبيان حُدودِه، وليُعرفَ بها؛ من غير أن يُكتَبَ عليها.

ويُستحبُّ إذا فرغ مِنْ دفنه أن يقفَ المسلمون على قبره ويدعوا له ويستغفروا له فرادى لأنه ﷺ كان إذا فرَغَ من دفن الميّت وقفَ عليه وقال: (استغفروا لأخيكُم واسألوا له التَّثبيت فإنَّه الآن يُسألُ)[4].

وأما قراءة شيء من القرآن عند القبر فإنّ هذا بدعة لأنه لم يفعله رسولُ الله ﷺ ولا صحابَتُه الكِرامُ (وكُلُّ بدعةٍ ضلالة) **ويَحْرمُ البناءُ على القُبور**

---

1 قال الترمذي حسن صحيح
2 رواه الخمسة إلا النسائي وحسنة الترمذي.
3 رواه أبو داود.
4 رواه أبو داود.

وتجصيصُها والكتابةُ عليها لقولِ جابر: "نهى رسولُ الله ﷺ أن يُجصّصَ القبر وأن يُعقَدَ عليه وأن يُبنى عليه"[1].

وروى الترمذي وصححه من حديث جابر مرفوعًا: "نهى أن تُجصّصَ القبورُ وأن يكتبَ عليها وأن تُوطأ" ولأنَّ هذا من وسائِلِ الشِّركِ والتَّعلُّق بالأضرحة لأنَّ الجُهّال إذا رأوا البناءَ والزَّخرفةَ على القبر تعلَّقُوا به.

ويحرمُ إسراجُ القُبورِ (أي إضاءَتُها بالأنوار الكهربائية وغيرها) ويحرمُ اتخاذُ المساجدِ عليها أي ببناء المساجد عليها والصّلاة عندها أو إليها ـ وتحرُمُ زيارةُ النِّساء للقبور لقوله ﷺ: (لعن الله زوارات القبور والمتَّخذين عليها المساجد والسّرُج**)[2] وفي الصحيح: (**لعنَ الله اليهودَ والنَّصارى اتخذُوا قُبُورَ أنبيائهم مساجِدَ**). ولأنَّ تعظيم القبور بالبناء عليها ونحوه هو أصلُ شِرْكِ العالم.**

وتَحرُمُ إهانةُ القبورِ بالمشي عليها ووطئها بالنِّعَالِ والجُلُوس عليها وجعلها مجمعًا للقُمَامات أو إرسال المياه عليها لِمَا روى مُسلمٌ عن أبي هريرة مرفوعًا: (لأن يجلس أحدُكم على جمرةٍ فتخرقُ ثيابَه فتخلُص إلى جِلدِهِ خير من أن يجلسَ على قبر**).**

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: مَنْ تدَبَّر نهيَه عن الجُلوس على القبرِ والاتكاءِ عليه والوطءِ عليه عَلِم أنّ النَّهيَ إنما كان احترامًا لِسُكَّانها أن يوطأ بالنعال على رؤوسهم.

التعزية:

وتسنُّ تعزيةُ المُصَابِ بالميّتِ وحثّه على الصَّبرِ والدُّعاءُ للميّت. لِمَا روى ابن ماجة وإسناده ثقات عن عمر وابن حزم مرفوعًا: (ما مِنْ مُؤمِن يُعزّي أخاه بمُصيبةٍ إلا كساهُ الله مِن حُلل الكرامةِ يومَ القيامة**) ووردت بمعناه أحاديث.**

ولفظ التعزية أن يقول: (أعظم الله أجرَكَ. وأحسن عزاءكَ. وغفر لميّتكَ**) ولا ينبغي الجُلُوس للعَزَاءِ والإعلان عن ذلكَ كما يفعلُ بعضُ الناسِ اليوم.**

---

1 رواه مسلم.
2 رواه أهل السنن.

ويُستحبُّ أن يُعدَّ لأهلِ الميّتِ طعامًا يبعثه إليهم. لقوله ﷺ: (اصنعوا لآل جعفر طعامًا فقد جاءهم ما يُشغلُهم)[1].

أمَّا ما يفعلُه بعضُ النَّاس اليومَ من أنَّ أهل الميت يُهيئونَ مكانًا لاجتماع الناس عندهم ويصنعونَ الطَّعامَ ويستأجِرُونَ المقرئين لتلاوةِ القرآنِ ويتحمَّلونَ في ذلك تكاليفَ ماليّة فهذا من المآتم المُحرَّمةِ المبتدعَة لما روى الإمامُ أحمد عن جرير ابن عبد الله قال: "كُنَّا نَعُدُّ الاجتماعَ إلى أهل الميّت وصنعةَ الطَّعامِ بعد دفنه من النِّياحَة" وإسناده ثقات.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمهُ الله: جَمْعُ أهل المُصيبةِ النّاس على طعامهم ليقرءوا ويهدوا له ليس معروفًا عند السَّلَفِ. وقد كَرِهَه طوائفُ مِنْ أهلِ العلم مِنْ غيرِ وجَه. انتهى. وقال الطرطوشي: فأما المآتم فممنوعة بإجماع العُلماء. والمأتم هو الاجتماعُ على المصيبةِ. وهو بدعة مُنكَرَة لم ينقل فيه شيء. وكذا ما بعده من الاجتماع في الثاني والثالث والرابع والسابع والشهر والسنة فهو طامَّة. وإن كان من التركة وفي الورثةِ محجورٌ عليه أو مَنْ لَمْ يأذَنْ حُرِّمَ فِعْلُه وحُرِّمَ الأكلُ منه، انتهى.

زيارة القبور

تُستحَبُّ زيارة القبورِ للرِّجالِ خاصَّةً لأجلِ الاعتبار والاتِّعاظ ولأجل الدُّعاء للأمواتِ والاستغفار لهم لقوله ﷺ: (كُنتُ نَهيتُكم عن زيارة القُبورِ فَزُورُوها)[2] **وزاد الترمذي:** (فإنَّها تُذَكِّرُ الآخرَةَ) **ويكونُ ذلك بدون سفرٍ فزيارةُ القُبورِ تُستَحَبُّ بثلاثةِ شروطٍ:**

[1] أن يكون الزّائرُ من الرِّجالِ لا النِّساءِ، لأنّ النبي ﷺ (لَعَن زوَّاراتِ القُبُورِ)**.**

[2] أن تَكُونَ بِدُونِ سَفَرٍ لقولِه ﷺ: (لا تُشدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجد)**.**

---

1 رواه أحمد والترمذي وحسنه.
2 رواه مسلم والترمذي.

[3] ن يكونَ القصدُ منها الاعتبارَ والاتّعاظَ والدُّعاءَ للأمواتِ، فإن كانَ القصدُ منها التّبرّكَ بالقبورِ والأضرحةِ وطلبَ قضاء الحاجاتِ وتفريج الكُرباتِ من الموتى فهذه زيارةٌ بِدْعية شركية.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية ـ رحمه الله ـ: زيارةُ القبور على نوعين: شرعيَّة وبِدْعية، فالشرعيّةُ المقصُودُ بها السَّلامُ على الميّتِ والدُّعاءُ له: كَمَا يقصد بالصّلاة على جنازته مِنْ غير شدِّ رِحْلٍ، والبِدْعِيّة: أن يكون قصدُ الزّائر أن يطلبَ حوائجَهُ من ذلك الميّتِ. وهذا شِرْكٌ أكبر. أو يقصد الدَّعاءَ عندَ قبرِهِ أو الدُّعَاءَ به. وهذا بِدْعة مُنْكَرة ووسيلَةٌ إلى الشّرك وليس مِنْ سُنَّةِ النَّبيّ ﷺ ولا استحبَّهُ أحَدٌ من سَلَفِ الأمَّةِ وأئمّتِها.

الفألُ وحسن الظّنّ بالله

د: أمين عبد الله

الحَمدُ للهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعدُ:

فإن الفأل وحسن الظن بالله من الأمور التي ينبغي للمؤمن أن يحافظ عليها، فإنها تعطيه دافعًا للعمل والتقدم إلى الأمام، فإن المتفائل عنده أمل أن يكون حاله في مستقبله خيرًا من يومه، وبأن يعوض فيه ما فاته، وأن يتجاوز العقبات والمحن، وأن يحقق المصالح والمنافع التي ليست في حوزته اليوم.

قال الماوردي: "الفأل فيه تقوية للعزم، وباعث على الجد، ومعونة على الظفر، فقد تفاءل رسول الله ﷺ في غزواته وحروبه[1]، والمراد بالتفاؤل انشراح قلب المؤمن، وإحسانه الظن، وتوقع الخير".

قال ابن الأثير: "التفاؤل مثل أن يكون رجل مريضاً فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طلب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته"[2].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ـ رضي الله عنه ـ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (يعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة)[3].

وروى البخاري في صحيحه مِن حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فَحَدَّثَنِي أَنَّ جَدَّهُ (حَزْنًا) قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: (ما اسمك؟) **قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ:** (بل أنت سهل)، **قَالَ: مَا أَنَا بِمُغَيِّرٍ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي، قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَمَا زَالَتْ فِينَا الْحُزُونَةُ بَعْدُ"[4].**

والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله ـ تعالى ـ على كل حال[5] وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى حسن الظن بالله ـ تعالى ـ. روى الإمام أحمد في مسنده مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ ـ رضي الله عنه ـ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بِي خيرا فله، وإن ظن شرا فله)[6].

وروى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ جَابِرٍ ـ رضي الله عنه ـ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل)[7].

---

1 أدب الدنيا والدين، ص319.
2 النهاية في غريب الحديث، 406/3، بتصرُّف.
3 صحيح البخاري، برقم 5756، وصحيح مسلم برقم 2224.
4 صحيح البخاري، برقم 6193.
5 فتح الباري، 215/10.
6 مسند الإمام أحمد، برقم 9076، وقال محققوه: حديث صحيح.
7 صحيح مسلم، برقم 2877.

قال العلماء: حسن الظن بالله ـ تعالى ـ أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه[1]، والذي يتأمل في أحوال الرسل ـ عليهم السلام ـ والصالحين من بعدهم يجد أنهم متفائلون في أحلك الظروف، والشدائد، فهذا موسى عليه السلام ومن معه عندما لحق بهم فرعون وجنوده وأصبح البحر أمامهم، والعدو خلفهم كان متفائلًا ومحسنًا للظن بربه.

قال ـ تعالى ـ حاكيًا عنه: *فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُون * قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين*[2].

وأم إسماعيل هاجر عندما تركها إبراهيم ـ عليه السلام ـ في مكة مع ابنها إسماعيل، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم مضى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: "يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذًا لا يضيعنا"[3].

وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ لما نزل الوحي على النبي ﷺ ورجع إليها خائفًا يقول: (زملوني؛ زملوني، لقد خشيت على نفسي)**. قَالَتْ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ"[4].**

ونبينا محمد ﷺ كان من أعظم الناس تفاؤلًا وحسن ظن بالله، روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ أَنَّهَا قَالَتْ: "يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ:

(لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على

---

1 شرح صحيح مسلم، للنووي 210/6.
2 سورة الشعراء، الآيتان 61 و 62.
3 صحيح البخاري، برقم 3364.
4 صحيح البخاري، برقم 3.

وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربّك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين)[1].

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (بل أرجو أن يُخرج الله من أصْلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك بِهِ شَيئا)[2].

وفي صحيح البخاري مِن حَدِيثِ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ عِندَمَا كَانَ أَبُو بَكرٍ فِي جِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ فَابتَنَى أَبُو بَكرٍ مَسجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالقِرَاءَةِ فِيهِ، فَشَكَتْ قُرَيشٌ أَبَا بَكرٍ إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ وَقَالُوا: خَشِينَا أَن يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَذَهَبَ ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكرٍ وَقَالَ: إِمَّا أَن تَمتَنِعَ عَمَّا تَفعَلُ وَإِمَّا أَن تَرُدَّ عَلَيَّ جِوَارِي، فَإِنِّي أَكرَهُ أَن تَتَحَدَّثَ العَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ ـ عزَّ وجلّ ـ[3].

ومن التفاؤل الذي يُذكر في هذا المجال: ما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ففي سنة (702هـ) تحرك التتار لغزو بلاد الشام فأخبر ابن تيمية الناس والأمراء أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينًا، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا، قال ابن القيّم: وسمعته يقول ذلك، قال: فلما أكثروا عَلَيَّ قلت: لا تكثروا، كتب الله في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكرة، وأن النصر لجيوش الإسلام، قال: وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو، وكان النصر حليف المسلمين.

قَالَ ـ تعالى ـ: *أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيب*[4].

---

1 هما جبلان بمكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله.
2 صحيح مسلم، برقم 1795.
3 صحيح البخاري، برقم 3905.
4 سورة البقرة، الآية 214.

وقَالَ ـ تعالى ـ: *وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين*[1][2].

ومن ذلك أن الشيخ شمس الدين الذي تولى تربية السلطان محمد الفاتح العثماني ـ رحمه الله ـ كان يأخذ السلطان محمدًا بيده ويمر به على الساحل ويشير إلى أسوار القسطنطينية التي تلوح في الأفق من بعيد شاهقة حصينة، ثم يقول له: أترى هذه المدينة التي تلوح في الأفق، إنها القسطنطينية، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن رجلًا من أمته سيفتحها بجيشه ويضمها إلى أمة التوحيد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لتفتحنّ القسطنطينيَة، فلنعم الأَمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)[3].

ومن ذلك ما ذكره الشيخ المقرئ عبد الله بن أحمد ابن سعيد قال: "مرضت بدمشق مرضًا شديدًا، فجاءني ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وجلس عند رأسي وأنا مثقل بالحمى والمرض فدعا لي، ثم قال: جاءت العافية فما كان إلا أن قام، وإذا بالعافية قد جاءت، وَشُفِيتُ لوقتي"[4].

ومن فوائد الفأل وحسن الظن بالله:

أولا: **يجلب السعادة والسرور إلى القلب، ويذهب عنه الهم والحزن، وهذا مطلوب شرعًا، ففي صحيح البخاري مِن حَدِيثِ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ـ رضي الله عنه ـ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ:** (اللَّهمّ إني أعوذ بك من الهم والحزن)[5].

ثانيًا: **فيه تقوية للعزائم، ومعونة على الظفر، وباعث على الجد والعمل.**

قَالَ ـ تعالى ـ: *وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ*[6].

---

1 سورة الروم، الآية 47.
2 الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص415.
3 هذا الحديث الذي ورد في سياق كلام الشيخ شمس الدين، واستدل به على فضل فاتح القسطنطينية. رواه عبد الله بن الإمام أحمد في "زوائد المسند" [31 /287 (برقم 18957)] مِن حَدِيثِ بِشْرٍ الخَثْعَمِيّ ـ رضي الله عنه ـ وقد ضعَّفه بعض أهل العلم، وفضل فتح القسطنطينية ثابت بأحاديث أخرى تراجع في مظانها.
4 الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص688.
5 صحيح البخاري، برقم 2893.
6 سورة التوبة، الآية 105.

وفي صحيح مسلم مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ ـ رضي الله عنه ـ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)[1].

ثالثًا: **فيه اقتداء بالسنة النبوية، فقد حثَّ النبي ﷺ على ذلك.**

وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ.

السؤال الأول: سورة جمعت بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى غير سورة الإسراء، ما هي؟

السؤال الثاني: يقول تعالى: [وانكحوا الأيامى والصالحين من عبادكم]؟ ما المقصود بالأيامى

السؤال الثالث: كم رمضان صام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟

السؤال الرابع: ما الدعاء الذي كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر منه في ليلة القدر؟

1 **صحيح مسلم، برقم 2664.**

السؤال الخامس: إحدى زوجات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ زارت بيت المقدس، من هي؟

السؤال السادس: من أول من وضع البريد في الإسلام؟

السؤال السابع: أين يتم ضبط التوازن في الجسم؟

السؤال الثامن: من الذي لقب بفاتح الصين؟.

السؤال التاسع: الباب الذهبي من أبواب المسجد الأقصى، يتكون من بابين

السؤال العاشر: من مؤلف كتاب [الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث]؟

آخر موعد لاستلام الإجابات هو الأول من شوال **1440** هـ

وترسل الإجابات على بريد المجلة الالكتروني أو على صندوق بريد رقم **19004** القدس

إجابات أسئلة مسابقة العدد (245)

السؤال الأول: الذي رتّب السور في المصحف هو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

السؤال الثاني: الصحابي الذي ولد في جوف الكعبة هو حكيم بن حزم ـ رضي الله عنه ـ.

السؤال الثالث: استشهد علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ في مسجد الكوفة.

السؤال الرابع: عدّة المرأة المتوفى عنها زوجها هي أربعة أشهر وعشرة أيام.

السؤال الخامس: سورة التين هي السورة التي تحمل اسم نوع من الفاكهة.

السؤال السادس: قرنية العين هي الجزء الوحيد الذي لا يصله الدم في جسم الإنسان.

السؤال السابع: أول عملة في الإسلام هي الدينار.

السؤال الثامن: يبلغ عدد بوائك المسجد الأقصى المبارك ثماني بوائك.

السؤال التاسع: من مصليات المسجد الأقصى: المصلى المرواني، مصلى البراق، مصلى النساء، مصلى المسجد الأقصى القديم.

السؤال العاشر: مؤلف كتاب [الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث] هو الحافظ ابن كثير.

الفائزون
25 دينار

شيرين الكركي
الخليل

رغدة أبو اسبيتان
القدس